النفائس
مجلة ادبية تاريخية فكاهية
تصدر في القدس (فلسطين)
مرة في الشهر
لصاحبها
خليل بيدس

النفائس

AN-NAFAIS
PROPRIETOR KHALIL BEDAS
JERUSALEM, PALESTINE.

قيمة الاشتراك
٦٠ قرشاً مصرياً في البلاد العربية و٧٠ قرشاً او ١٤ شلناً او ٣½ دولارات في الخارج
الاعلانات
تُفاوض بشأنها الادارة

الجزء ٥ | = القدس * ايار سنة ١٩٢١ = | السنة ٨

متى أكون صحافياً

لفقيد النظم والنثر المرحوم ولي الدين بك يكن (وهو فصل من (كتاب عفو الخاطر) الذي سيظهر قريباً وفيه هذا الفصل والمقالات التي نُشرت في النفائس قبل الان)

انا اكتب واظن اني أجيد في الكتابة. لان كثيراً من الناس يزعمون ذلك . فاذا كان زعمهم مجاملة فانا افسرها بمعنى الصواب . فان كان من يُجيد الكتابة صحافياً — فانا صحافي

ثم اني أحسن الشعر . ويقول اناس ان لي شعراً لا بأس به . ويخيل الي انهم يصدقون . فاذا كان من يجيد الشعر يُحسن المقال — واذا كان من يحسن المقال يفهم الناس واذا كان من يفهم الناس يعلمهم . واذا كان من يعلمهم صحافياً — فانا صحافي

ثم اني مارست شيئاً من السياسة ليس العهد بطويل . ولكنها تجربة خمسة وعشرين عاماً . فاذا كان من جرب خمسة وعشرين عاماً يعرف السياسة . واذا كان من يعرف السياسة صحافياً — فانا صحافي

ثم اني مؤلف لي كتب هي اقل من القليل . ولكنها مطلوبة بل مخطوبة . فاذا كان من يحسن التأليف يحسن الترتيب واذا كان من يحسن الترتيب يحسن الاختيار . واذا كان من يحسن الترتيب والاختيار صحافياً — فانا صحافي

ثم اني حرٌّ . هذا مالا يهمني ان يعترف به الناس او ينكروه . فاذا كان الحر لا يغش في النصح . واذا كان من لا يغش في النصح لا يتقرَّب من الناس بنفاق . واذا كان من لا يتقرب من الناس بنفاق غير محبوب عندهم . واذا لم يكن غير المحبوب عندهم صحافياً — فانا لست صحافياً

ثم ان العامة لاتفهم كلام الخاصة . ومن يخاطب الخاصة تنحصر شهرته فيهم . فاذا كان المشهور عند الخاصة غير مشهور عند العامة . واذا لم يكن غير المشهور عند العامة صحافياً — فانا لست صحافياً

ثم ان حياة الصحف تطول بالاستجداء . والاستجداء صناعة لا يحسنها كل انسان .

فاذا كان من لا يحسن الاستجداء لا تعيش صحيفته . واذا لم يكن من لا تعيش صحيفته صحافياً — فانا لست صحافياً

واذا اعتدل الشرق وصحا بنوه . وتعودوا ان يفهموا وتمرنوا على ان يريدوا.وجعلوا لانفسهم مقاصد يسعون وراءها. واخذوا يميزون بين الغث والسمين.وعرفوا فرق الباطل من الحق – استطاع صاحب هذا اليراع العاجز ان يكون صحافياً

كلام سهل اوجهه الى العامة على غير عادتي واسلوب ما حدثت نفسي ان اهبط الى دركة قبوله. أقبله مرة واحدة لأفهم من يسمعون كلامي كل يوم انني لست صحافياً ولن اكون صحافياً فوا أسفاه

رسالة الغفران

ودانتي شاعر الطليان

لحضرة الشاعر الناثر الالمعي قسطاكي بك الحمصي

بينما كنت اقلب صحيفة الطان الفرنسوية استوقف نظري مقالة عنوانها «دانتي في باريس» ولم آت على اخرها حتى حسبتُني ملكت كنزاً ثميناً .

وجملة الخبر انني اذ كنت نزيل مصر سنة ١٩٠٧ كلفني امين افندي هندية صاحب المطبعة والمكتبة المشهورتين ان أتمّ تصحيح رسالة الغفران التي كان يصححها لهجة اللغة الاخ الشيخ ابرهيم اليازجي . فاخذتُ في ذلك من الملزمة الثامنة عشرة حتى آخر الرسالة . ولما كانت امانة التصحيح تقضي بان لا يُنسب الى الامام الفقيد ما ليس من قلمه وكان قد طبع على غلاف الرسالة ما يأتي «وقد صححها ووقف على طبعها العالم اللغوي الشهير الشيخ ابرهيم اليازجي» رأيت ان اطبع في اخر الرسالة بياناً اذكر فيه ما كان من تصحيحه واضمنه نقداً اتكهن فيه مما كان في نفس ابي العلاء عند كتابته هذه الرسالة وموازنة بين صاحبها ودانتي شاعر الطليان حسب صنيع علماء الافرنج لهذا العهد . واتممت ذلك كله وسلمته الى المطبعة المذكورة . وكنت ازمعت السفر فعدت الى حلب قبل استلام الرسالة كاملةً . ثم وقعت بيدي منها نسخة في حلب . ولما تطلبت النقد والموازنة لم اجد لهما اثراً . ولكنني وجدت في اخر الرسالة كلمةً لصديقنا الفاضل الاديب الشيخ عبد الرحمن البرقوقي في ترجمة ابي العلاء وفي آخرها بيان لتصحيح الملازم السبع عشرة بقلم فقيد اللغة الاخ الشيخ ابرهيم وتلميح الى تصحيح باقيها بقلم سواه . فعجبت من صنيع صاحب المطبعة وكتبت الى احد اصحابي في مصر اساله الامر . فوردني جوابه يومئذٍ يقول فيه : عنّفت صاحب المطبعة على ما فعل من حذف البيان الذي سلمتموه اليه قبل براحكم مصر فاجاب معتذراً انه لم يفعل ذلك الا بنصح احد الادباء وقد قال له ان لم تُختم الرسالة بقلم عالم مسلم ويحذف النقد الذي في اخرها لا تروج وانه تاجر كتب وقد طبع منها ثلاثة الاف نسخة فهو يخشى كسادها لديه

ثم ترامى اليَّ الخبر بعد ذلك ان احدى المجلات التي تصدر في مصر قد نشرت ملخص الموازنة التي ذكرتها بين المعرّي ودانتي وذلك عقيب براحي مصر . فكأن الناصح الذي اشرت اليه راى ان ينسب الى نفسه بضاعة غيره ويجعلها طرفة يطرف بها قراء مجلته . فنصح امين افندي بما نصح ، وكان من حق امانة العلم ان يرويها عن كاتبها سامحه الله . . واذ لم يكن لدي نسخة منها فانا اكتب الان ما اتذكره منها او اتزيد

قد اجمع المؤرخون على ان مولد ابي العلاء المعري كان سنة ٣٦٣ وكانت وفاته سنة ٤٤٩ هجرية اي سنة ١٠٥٧ مسيحية ومنزلته من علوم اللغة والصناعة الشعرية فوق ان تحتاج الى بيان ، ومكانه بين امراء الكلام فوق ان يعزَّز ببرهان

وكان له وقوف على سائر علوم عصره ولا سيما العلوم الفلسفية والدينية والهيئة. اما ذكاؤه وحفظه فمما يعد من خوارق الآيات بل من المعجزات. ولولا ما لدينا من كتبه وشعره مع ثبوت فقده البصر منذ الرابعة من عمره لكان ما نقل الينا من ذلك الى التكذيب اقرب منه الى التصديق. بيد ان من كان يحفظ هذا المقدار الجزيل من شتات اللغة والشعر والعلوم ويتكلم بما تكلم نثراً اوشعراً ويخوض في موضوعات سائر احوال عصره وعلومه لحقيق بان يصدق ما نقل الينا عنه. فمن ذلك انه كان قاعداً يوماً في دكان يهودي ببغداد واتفق ان جاءه خصم له وتكلما بالعبرانية. ثم مرت على ذلك ايام تحاكما بعدها الى القاضي فقال للمدعي هل عندك شاهدان على ما تقتاله. فقال عندي رجل يهودي وثان مسلم اعمى. فاحضرهما القاضي ولما سال ابا العلاء شهادته قال اني اعرف احدهما بصوته ولعلي اعرف الثاني ايضاً بصوته وهما قد تكلما بحضوري بالعبرانية ولم افهم منهما شيئاً ولكني احفظ ما قالاه او ما قال احدهما. واعاد العبارة بالعبرانية وهو لا يفهم ما يقول. وكان في شهادته ربح الدعوى. أنقلها باختصار

ومما اشتهر عنه انه اذ كان في بغداد سنة ٣٩٩ انشده احد الشعراء قصيدة ولعله ابو الخطاب الجبلي. قال ابن الاثير في الكامل في حوادث سنة تسع وثلاثين واربعماية وفيها مات ابو الخطاب الجبلي الشاعر ومضى الى الشام ولقي المعري وعاد ضريراً. ومن شعره

ماحكم الحب فهو ممتثل وماجناه الحبيب محتمل
تهوى وتشكو الضنى وكل هوى لاينحل الجسم فهو منتحل

فلما اتى على آخر القصيدة قال له انت اشعر من بالعراق. ثم عاد الى الشام ولزم بيته في معرة النعمان. وبعد خمس عشرة سنة من ذلك التاريخ جاءه شاعر فانشده قصيدة ولم يذكر اسمه له فلما اتى على آخرها قال ابو العلاء: ومن بالشام. فعجب الشاعر من فطنته وحذقه. وسئل ما معنى ما قال لك. فذكر للسامعين حكايته معه في بغداد وقوله له انت اشعر من بالعراق وانه عرفه الان فعطف على عبارته تلك بقوله ومن بالشام. وامثال هذه الحكايات عن ابي العلاء كثيرة. ولم ارد بذكر ما اوردته منها اثبات المنقول او نفيه فلذلك مقام آخر. وانما اوردت ذلك تمهيداً لما سياتي في الموازنة

وانت تعلم انه قلما نبغ شاعر في فنون المنظوم او جاء عالم برأي جديد في علم من العلوم الا وقام له من الخصوم والحساد او المساجلين والنقاد قوم تدفعهم غرائزهم للتعريض به والطعن عليه. وقد يكون بينهم افراد لا غرض لهم الا تمحيص الحقائق وقليل ما هم. هذا شأن الامم في كل عصر ولا سيما في تلك العصور السحيقة يوم كانت الاديان في الشرق والغرب تجارة يتزلف بها العلماء الى مستبدي الحكام والامراء بعضهم للتمسك بالرمق وبعضهم للتكسب كيفما اتفق وآلةً قاطعة في ايدي الملوك والحكام توصلاً

لمطامعهم السياسية واهوآئهم النفسانية . ولهذا لم يكن بدّ للفلاسفة والعلماء من إلباس ما يكتبون في اي علم غير علوم الدين ثوباً من التدين والورع ليأمنوا غائلة عدو يقدح او حسود يشي

فاذا عُلم هذا فلننظر اولاً نظرة ناقد في رسالة الغفران هذه . فاول ما يُنعى عليها طولها. وهي رسالة من صديق الى صديقه ويُعتذر عن ذلك ان رسائلهم لذلك العهد كانت طويلة لصعوبة وسائل النقل وبُعد المسافات ، مما كانت عليه حالة الطرق في تلك العصور من فقد الامنية . ولم تكن البُرُد الا لحاجات الحكومات . فاذا ما همّ القريب او الصديق بالمكاتبة لم يكن له بدٌّ من البحث عن مسافر امين يودع بين يديه رسالته . وهذا لم يكن ميسوراً . ولذلك كانت رسائلهم طويلة . الاّ ان المسافة بين معرّة النعمان وحلب ليست الا ساعات على القافلة فلا ينطبق عليها ما ينطبق على الرسائل التي تقتضي خوض البحار ، وقطع المسافات الشاسعة في الصحارى والقفار . ثم ان هذه وان كانت جواباً على رسالة وردت ابا العلاء من صديقه ابن القارح فلم تكن رسالة اخوانية ، اذ طولها وما فيها من الاغراض التي لا احسب المعرّي الا قصد لها وتوخاها ، يخرجها عن الاخوانيات وينزلها منزلة معجم لعويص كلام العرب وغريب اشعارهم في ظاهرها. وانما هي في الحقيقة مفاكهة بين صديقين في الاعتقاد متبادلين . ولا احسب الشيخ ابن القارح الا على مذهب الفلاسفة وان لم تكن لديّ رسالته . وسيأتيك الدليل فيما يجيء . اما ابو العلاء فقد كان فيلسوفاً قولاً وفعلاً . اقول فعلاً لانه لم يكن بين فلاسفة العرب كلهم من طابق بين قوله وفعله سواه . فهذا الرئيس ابن سينا على فضله ورسوخ قدمه في العلوم الفلسفية ، كان نهماً شديد الشبق وكان هو ووالده يتقلدان للسلطان الاعمال في الدولة السامانية. وقيل انه مات بالسجن وقال فيه كمال الدين بن يونس

رايت ابن سينا يعادي الرجالَ وفي السجن مات اخس الممات
فلم يشفِ ما نالهُ بالشفا ولم ينجُ من موته بالنجاة

والشفا والنجاة من اشهر كتب الرئيس كما هو معلوم. اما ابن الصائغ وابو بكر بن طفيل وابو الوليد بن رشد فكلهم ممن اشتغل مع العلم بالسياسة ولم تصرفه الفلسفة عن الرئاسة . بل ان اكابر فلاسفة اليونان قبلهم لم يحصلوا على منزلة المعري العالية، فان ديوجينوس المشهور بالكلبي لتقشفه وزهده في الدنيا، قد اشتغل في صباه مع ابيه الصرّاف بالتزوير والتزييف، ونفي من وطنه بعد الاهانة والتعنيف. وارسطاليس نُسب اليه عقوقه استاذه افلاطون، واشياء ان صدق راووها ألصقت به العار على القرون ، بل ان استاذه افلاطون اشتغل بالسياسة وحام حولها ونسبت اليه افعال لم يجزم بصحتها ولم يقطع بتكذيبها

(سيأتي البقية)

باريس

كتبنا الى صديق لنا اديب في القطر المصري ان يوافينا ببعض ما جادت به قرائح كبار الشعراء هناك في اثناء الحرب مما لم يطلع عليه ابناء سوريا فوعدخيراً وارسل الينا الان بهذه القصيدة العصماء وهي الاولى من بوارق الخيال الاسمى والوحي الاسنى قالها الشاعر الفرد احمد بك شوقي في اوائل الحرب في وصف باريس حاضرة الجمال

جهدُ الصبابةِ ما اكابد فيكِ ... لو كان ما قدْ ذقتهُ يكفيكِ
حتامَ هجراني وفيمَ تجنبي ... والامَ بي ذلُ الهوى يغريكِ
قد متُّ من ظماء فلو سامحتني ... ان اشتهي ماء الحياة لفيكِ
اجد المنايا في رضاك هي المنى ... ماذا وراء الموتِ ما يرضيكِ
يا بنت مخضوب الصوارم والقنا ... برنت بنانكِ من سلاح ابيكِ
فخضابُ تلكَ من العيون وقايةٌ ... وخضابُ ذاك من الدم المسفوكِ
جفناك ايها الجريء على دمي ... بأبي هما من قاتلٍ وشريكِ
بالسيفِ والسحر المبين وبالطلى ... حملا عليَّ وبالقنا المشبوكِ
بهما وبي سقمٌ ومن عجب الهوى ... عدوان منكسرٍ على منهوكِ
رفقاً بسيلة الشؤون قريحة ... تسلو عن الدنيا ولا تسلوكِ
ابكيتها وقعدت عن انسانها ... يا للرجالِ لمغرَق متروكِ
ضلأت كراها في غياهب حالك ... ضلَّ الصباحَ عليه صوتُ الديكِ
رقَّ النسيم على دجاه لانتي ... ورثى لحالي في السماء اخوكِ
قاسيته حتى انجلى بالصبح عن ... سرّي المصون ومدمعي المهتوكِ
سُلَّت سيوف الحي الا واحداً ... افرندُهُ في غمدهِ يحميكِ
بردته في غير حقٍ كالالى ... سلوا سيوفهم على اهليكِ
طلعت على حزم الممالك خيلهم ... ناراً سنابكها على البلجيكِ
البأس والجبروت في أعرافها ... والموت حول شكيمها المعلوكِ
عرّت (لياج) عن الحصون وجردت ... (نامور) عن فولاذها المشكوكِ
تمشي على خط الملوك وختمهم ... وعلى مصونِ مواثقٍ وصكوكِ
والحرب لا عقلٌ لها فتسومها ... ما ينبغي من خطةٍ وسلوكِ

دكّت حصون القوم الا معقلاً … من نخوة وحمية وفتوك
واذا احتمى الاقوام باستقلالهم … لاذوا بركن ليس بالمدكوك
ولقد اقول وادمعي منهلّة … باريس ! لم يعرفك من يغزوك
ما خلت جنات النعيم ولا الدمى … ترمي بمشهود النهار سفوك
زعموك دار خلاعة ومجانة … ودعارة يا أفك ما زعموك
ان كنت للشهوات دنيا فالعلى … شهواتهن مرويّات فيك
تلدين اعلام البيان كأنهم … اصحاب تيجان رقاة اريك
فاضت على الاجيال حكمة شعرهم … وتفجرت كالكوثر المروك
والعلم في شرق البلاد وغربها … ما حجّ طالبه سوى ناديك
العصر انت جماله وجلاله … والركن من بنيانه المسموك
اخذت لواء الحق عنك شعوبه … ومشت حضارته بنور بنيك
وخزانة التاريخ ساعة عرضها … للفخر خير كنوزها ماضيك
ومن العجائب ان واديك الثرى … ومراتع الغزلان في واديك
يا مكتبي قبل الشباب وملعبي … ومقيل ايام الشباب النوك
ومراح لذاتي ومغداها على … أفق كجنات النعيم ضحوك
وسماء وحي الشعر من متدفق … سلس على نول السماء محوك
لما احتملت لك الصنيعة لم اجد … غير القوافي ما به أجزيك
ان لم يقوك بكل نفس حرة … فالله جلّ جلاله واقيك



افكار وآراء

﴿ للدكتور شميل ﴾

* ان العرش الذي يتبوأه الملوك قائم على قاعدة هي الامة . فاذا ضلت الامة من تحتهم هوى بهم ذلك العرش كجلمود صخر حطه السيل من عل

* اللغات تحيا بحياة الامم وحياة الامم انما تكون بعلومها وصناعاتها وحياة العلوم والصناعات بالعلماء والصناع منها . فاذا خلت امة منهم ذهب استقلالها وكان القضاء عليها امراً محتوماً

* الشرقي اليوم فضلة في الاجتماع لا عمدة . بل هو شريك سلبي لاقتسام المنفعة . لا ايجابي للعمل بها . بل هو يقتسمها مرغماً في ورودها اليه من الخارج ويقوم في سبيلها معارضاً من الداخل

رسالة الحكيم

الى التلميذ

بقلم حضرة الفاضل الدكتور امين الجميل

حبيبٌ الى قلوبنا انت. لانك فلذة الكبد ورجاء الاهل. وكبيرٌ في عيوننا انت. لانك ركن الوطن ورجل الغد. فنحن لا نريد لك الاَّ كل خير وصلاح وفلاح. ولما كنا نعلم انك لا تزال قليل الخبرة بتصاريف الاحوال، سريع الانخداع بظواهر الامور، لانك قلما عرفت من العالم الاَّ ما تعلَّمته في المدرسة — رايتُ ان ألبّي القائمين على تربيتك فيما اقترحوه عليَّ من اتحافك بنصائح صحية اخلصها لك اخلاص اب طبيب

ولا اظنك تجهل ان الصحة هي اساس كل عمل ومطاب. وقد اصاب من قال: النفس السليمة في الجسم السليم. على ان هذه الصحة الثمينة الغالية هي سريعة العطب، سريعة التحوّل، سريعة الزوال. لذا لزمك ان تكون عليها حريصاً كحرصك على اعز شيء عندك

واول ما انصحه لك المحافظة على الآداب، والاخلاق الطيبة، والعادات القوية. فانها ملاك الصحة، وهناء المعيشة، وحسن السمعة، والشرف الحقيقي. الاداب سياج الصحة، كما ان اساس الاداب الدين

يقولون ان العلم في الصغر كالنقش في الحجر. وهو قولٌ وجيه صحيح. فاذا كانت الطبيعة قد زيّنتك باخلاق حسنة، فحافظ عليها لانها اثمن ما تقتنيه. والاَّ فلا تتغفلنَّ عن تحسين اخلاقك واصلاحها ما دمتَ صغيراً. فان العود يسهل تقويمه وهو لينٌ رخصٌ. فاذا عسا وصلب صعب تقويمه بل استحال

النظافة والاعتدال — وصية ذهبية، فاعتصم بها. نظافة القلب والضمير. نظافة الجسم بالحمام المتواتر. نظافة الملبس والمأكل. نظافة الماء والهواء. نظافة المسكن. — واعتدال في كل شيء. فاياك الافراط والتفريط

البطالة — آفة القوى العقلية والجسدية معاً. والعمل — شرط لا بدَّ منه لنموّ الاعضاء. ولهذا اجمع علماء الصحة ان الرياضة البدنية امرٌ اساسيٌّ خطير في التربية. على انه يجب الاعتدال في كل حال. فكل افراط مضرٌّ. وكل تفريط مضر. فاعطِ لكل امر وقته. ادرس والعب. وكل واشرب. ونم وقم في الوقت المعين لكل شيء من ذلك. — راعِ الاعتدال والنظام لانه لا يتسنى لك بدونهما عيش هنيّ ولا تطيب لك عافية

تنشَّط وتصلَّب على البرد والحرّ. واياك والتخنث والتأنث والتصنُّع. كن رجلاً في كل احوالك واطوارك. غداً تدعى للدفاع عن وطنك. وفوق هذا هل الحياة الا حرب وجهاد؟ ومن يظفر فيهما الاَّ الاشداء الاقوياء، افراداً كانوا ام شعوباً؟ الولد الجامد السكّوت كرهته نفسي كما تكره شيخاً تأخذه على مشيبه الخفة والنزق. فلكل عمرٍ حال وشأن

العفة والطهارة—زينة الفتى. وكل مايدنسهما يذهب ببهاء زنبقة الصبا . العفة اكبر واق. لصحة الفرد وسلامـة النَّسل . فويل لمن لا يعتصم بحبلها المتين . فانه يستهدف للامراض والعاهات المشوهة ، كالعمى والشلل والقروح وانحطاط القوى والجنون والموت

الحسد والبغض والحقد — آفة العافية . والغم يأتي بالشيخوخة قبل حينها . — كذا قال ابن سيراخ وقوله ثابت لا يخلق جدّته القِدَم

احـذر اول كأس كما تحذر غداً امضاء اول كمبيالة او اول كفالة . لان المسكر سمٌ قتال للجسم والعقل والنسل . وما طريق الحانة الا طريق المستشفى ،طريق المأوى ، بل طريق المقبرة

لا تدخنن ابداً —اما علّمتك الكيمياء ان في التبغ سماً قوياً يسمى النيكوتين . نقطةٌ واحدةٌ منه تقتل كلباً ؟ . وحسبك ما في التدخين من النفقات

قال سنيكا الفيلسوف : الانسان لا يموت ولكنه يقتل نفسه . وما عنى الا السكير والفاسق والنهم وكل مفرط على الاجال . فلا تكوننّ من هـؤلاء . بل اهرب منهم كما تهرب من المصدور والمجدور ، فان خلائقهم تعدي

لا تقتنِ من الاصحاب الا كل ذي خصال كريمة وصحبة طيبة . فانك تُعرَف من عشيرك ، وكلُّ قرينٍ بالمقارن يقتدي . وقعت في يـد بعضهم ورقة خضراء طيبة العرف ، فسألها : أوردةٌ انتِ . ام ماذا ؟ والا فمن اين لك هذه الرائحة العطرية ؟ فقالت : لست بوردة ، ولكني أقمتُ بين الورد زماناً

كل مما يُقدَّم لك . فطعام المدارس لبساطته اشدُّ موافقة للصحة من طعام القصور المتأنَّق فيه . أصِب من الطعام حاجتك ، فان الغذاء الكافي ضروري لنمو جسمك ، وللتعويض عما افقدتك اياه الرياضـة والالعاب . — ليس في معدتك اضراس فتطحن الطعام ، فاحسن المضاغ والا تعسر الهضم . —لا تشرب الا الماء نقياً صافياً

الهواء النقي للصحة كالماء للسمك فأكثر من تجديد الهواء في غرفتك . — الشمس اقوى واعمُّ وارخص مطهر للفساد . فأدخلها بيتك على الرحب والسعة . فحيثما تدخل الشمس لا يدخل الطبيب . — ولكن احذر ، عند الدرس ، ان يقع نورها على عينيك رأساً . بل اجعل النور ياتيك من جهة الشمال . — تجنب ما استطعت مطالعة ما كان دقيق الحروف من الكتب والاوراق ولا تقرب القرطاس من عينيك اكثر من ثلاثين سنتيمتراً ، لئلا تُصاب بالحسر . اجلس على استقامة عمودية ، لان انحناء القامة يشوّهـا ويشوّه الاحشاء ايضاً . ولكاتبةٍ شهيرة نصيحة شهيرة : جسمٌ مستقيم ، وقرطاسٌ مستقيم ، وخط مستقيم

هـذا ما اردتُ اجماله في هذه العجالة . فاحفظ ايها الطالب هذه النصائح واعمل بها ، حتى يصحّ الك هذا الدعاء : اطال الله عمرك بالعافية والهناء

من الكوخ الى القصر

كان غسطاف ادولف من جلة ملوك اسوج ، اشتهر بالبسالة والاقدام وكثرة الغارات ووفرة الفتوح . وقد ولي الملك سنة ١٦١١ وتوفي سنة ١٦٣٢ . وكان حكيماً عادلاً محباً لرعيته رأوفاً بها ، لا يألو جهداً في سبيل رقيها واسعادها . ومن اقواله المأثورة الدالة على سمو مداركه وجودة اخلاقه : ان الملك الذي هو بمثابة القائد لشعبه عليه ان يعرف الناس ويدرس جميع طبقاتهم ويكون خبيراً باحوالهم وسائر امورهم . ولهذه الغاية كان غسطاف يتنكر في كثير من الايام ويخرج من قصره فيتجول بين العامة والخاصة ويخالط الجميع ويصغي الى اقوالهم وآرائهم ويطلع على عاداتهم واعمالهم ويسأل عن احتياجاتهم ورغائبهم ويعمد بعد ذلك الى اصلاح ما يكون قد اختبره بنفسه في اثناء هذه التجولات من النقائص والاحوال

وحدث انه خرج ذات يوم مع رجال حاشيته للصيد وقد انفرد عنهم في بعض الغابات الى ان بلغ مكاناً لم تطأه قبلاً قدماه فرأى قرية صغيرة فسدد خطواته اليها على امل ان يفكه نفسه بمحادثة من يراه من القرويين ، فبصر باثنين منهم يعملان في حقل على قيد بضع خطوات منه ، وكان احدهما يحرث الارض والعرق يتصبب من جبينه والاخر واقفاً الى جانبه يسأله ان يكف عن العمل . فشعر الملك بميل في نفسه الى استماع حديثهما فاقترب اليهما ووقف حيث لا يريانه فسمع احدهما ، وهو الذي كان يحرث ، يقول لرفيقه — اني متعجب من الحاحك يا صديقي استنغ ! فانت اليوم منحرف الصحة ولا قدرة لك على العمل فاذهب الى البيت وخذ لنفسك قليلاً من الراحة وانا اقوم عنك بحرث حقلك ثم ادعوك فنزرع معاً وهل تعدُّ مساعدة رفيقي وجاري تعباً يحملك على هذا الالحاح ؟ فأبرقت اسرة الملك سروراً لدى سماعه هذا الكلام وقال في نفسه : ان هذا الرجل لجوهرة نادرة فانا ملك واسع السلطان عظيم الشان وأراني أحسد هذا القروي على هذا الشعور الجميل نحو رفيقه . — ولما قال ذلك دنا من القروي الذي سمع كلامه وقال له — اراك محباً لرفيقك وحبك له يفوق كل وصف . فاجاب القروي وهو لا يعلم من امر محدثه شيئاً — بلا شك يا سيدي . قال — واظنك لا تمنع عنه شيئاً مما يخصك . قال — نعم لان رفيقي ذو عيال وانا عزب وليس لي من الاهل من أضطر الى اعالته ولكن لي ذراعين قويتين تكفيانني الحاجة . قال — بورك فيك ايها الرجل فما اسمك ؟ قال — استرن تربرن . فأخرج الملك من جيبه بضعة دنانير وقدمها للقروي قائلاً — خذها كجائزة على حسن صنيعك . فأبى استرن اخذها وقال — اني لا اقبل جائزة على مساعدتي اصديقي لان ذلك واجب عليَّ لا استحق عليه شكراً او مكافأة . فازداد الملك سروراً ثم ودعهما وانصرف . وعاد استرن الى شغله وهو يقول لرفيقه — ان هؤلاء المدنيين لا يفهمون معنى الصداقة الحقيقية كما نفهمها نحن

وبعد بضعة ايام قدم الى قرية استرن ورفيقه رجل من النبلاء وبحث عن استرن وطلب ان يسافر معه الى قصر الملك في استوكهلم (عاصمة اسوج) فذهل استرن وقال له — لا شك انك مخطئ ياسيدي ولعلك تريد سواي من ذوي الوجاهة والنبل . قال — بل اياك أطلب ، الست انت استرن تربرن وقد كنت منذ اسبوع تشتغل عن صديق لك اسمه استنغ في حقله ورآك احد الصيادين المدنيين وجرى بينكما بعض الحديث ؟ قال — نعم انا هو . قال — اذاً انت هو المطلوب فهيا بنا . قال — اني لا اخشى احداً من ذوي السلطة لاني لم آت عملاً أخشى عاقبته ولكني اسألك ان تمهلني ريثما ابدل اثوابي ولا البث ان اعود اليك وارافقك الى حيث تشاء

وكانت العربة الفاخرة التي قدم عليها النبيل قد استلفتت ابصار اهل القرية فتألبوا حولها وهي واقفة امام منزل استرن وكان في جملة الحضور استنغ وقد عرف ان صديقه مطلوب الى العاصمة فقال له — اني لا ادعك تسير

وحدك لاني عرفت السبب فقد قتلتُ واياك منذ مدة خنزيراً بريًّا كان يتردد الى حقلي ولعلّ الامر لم يخف على الحكومة فاستدعتك وغفلت عني مع اني شريكك في قتل الخنزير ولذلك فلا بدّ من ذهابي برفقتك . قال — ولكننا دفعنا وقتئذٍ الجزآء المفروض واما طلبي الان فلا بدّ له من سبب آخر . قال — مهما كان الامر فلا بدّ من مرافقتي اياك لأننا قتلنا الخنزير معاً وليس لك ذنب آخر فاذا اودعوك السجن بسبب ذلك فيجب ان اكون الى جانبك ويُخيَّل اليَّ ان الذي وشى بك انما هو ذلك الصياد الذي حادثك منذ بضعة ايام وسألك عن اسمك

ولم يرضَ النبيل الذي جاء يطلب استرن بمرافقة استنغ لها بيدَ ان الحاح استنغ والتماس استرن اقنعاه فرضي اخيراً وركب الثلاثة العربة وساروا في طريق استوكهلم . وما زال استنغ يحاول اقناع صديقه بان سبب استدعائه لم يكن الاّ قتل الخنزير حتى بلغوا العاصمة ووقفت بهم العربة امام القصر الملوكي فترجلوا ودخلوا واسترن واستنغ في حالة الاضطراب والقلق . فتركهما النبيل في احدى غرف الانتظار وخرج ولكنه ما لبث ان عاد وقال — ان جلالة الملك يودّ مقابلة استرن فهيا بنا ايها الشاب ولا تخشَ سوءًا . فنهض استرن وسار برفقته وهو يحسب الف حساب لهذه المقابلة الغريبة

وما كاد يدخل على الملك ويرى وجهه حتى عرف انه هو الصياد الذي حادثه في القرية فخرّ على وجهه الى الارض وهو يرتعد وجلاً . فبشّ الملك في وجهه وأنهضه وقال له — ما بالك خائفاً يا استرن ? اني لا اريد بك سوءًا . فقال استرن وقد ثاب اليه روعه — اسألك العفو ايها الملك لي ولصديقي استنغ وأعدك بأننا لا نقدم مرة اخرى على الاخلال بشيءٍ من شروط الصيد ، نعم اننا قد قتلنا الخنزير ولكننا لم نفعل ذلك بقصد الكسب بل لاتقآء عيثه في حقولنا . فابتسم غسطاف ادولف وقال — حسن . فقد قتلتما الخنزير واقتصت منكما الحكومة بسبب ذلك وقضي الامر ولكني دعوتك الان لامر آخر فاين صديقك استنغ ?

فأجاب وقد سُرّي عنه بعض الشيء — انه ينتظرني يا مولاي في احدى غرف القصر . — قال اعلم يا استرن ان الملوك في حاجة الى من يقول لهم الحق الصريح على الدوام وبلا وجل وقد آنستُ فيك الضالة التي أنشدها وقدّرتُ صداقتك واخلاصك لصديقك استنغ حق قدرهما وتراني حاسداً له على ذلك فهل تريد ان تكون صديقًا لي ايضًا ? اني سأتخذك في جملة حاشيتي وأعنى بتعليمك وتدريبك على الاصول المتبعة في قصور الملوك ولكني ارجو ان لا يتلف قلبك او تتبدّل اخلاقك وارجو ان تكون صديقًا صادقًا لي مدى العمر فهل تعدني بذلك ?

فتأثر استرن شديداً وقال — ان طاعتك واجبة عليَّ ايها الملك ولو بسفك دمي . انت تريد ان اهجر قريتي التي نشأت فيها وكوخي الذي درجتُ منه وانا سأفعل ذلك بطيبة خاطر على امل ان اخدمك بامانة واخلاص وأكون اهلاً لثقتك ورضاك ولكني أبتهل اليك ان لا تفرق بيني وبين صديقي استنغ . قال — لك ذلك فاذهب الان ولا تخبر احداً بما تم بيننا من الحديث . فسلم استرن وخرج الى حيث كان استنغ ينتظره بفارغ الصبر وبعد ان تناولا طعام الغدآء في القصر عادا الى قريتهما حيث مكثا اسبوعاً ثم رجعا الى استوكهلم واقاما في خدمة القصر

وكان استرن شابًا في سن الخامسة والعشرين جميل الطلعة ذكي الفؤاد متوقد الذهن وقد اكبّ على اكتساب العلوم والمعارف على اساتذة ماهرين ونجح نجاحًا باهراً أعجب به الملك كل الاعجاب . وكان في اوقات الفراغ يستدعيه ويقضي معه بعض الوقت في الحديث والمذاكرة . ولم تجد الكبرياء والعظمة الى نفس استرن سبيلاً ولم يقوَ هذا الانقلاب الفجائي في حياته على تبديل اخلاقه وإفساد سريرته فكان آية الرصانة والرقة والاداب ولم ينس حالته الاصلية ولبث صديقًا مخلصًا لاستنغ وكان يقول له — اذا رأيت فيَّ تغيراً فاياك ان تكتم عني ذلك بل ارقبني اشد مراقبة وذكرني بكل واجب . والحق يقال ان سلوك استرن كان على اشهى ما يريده اهل البلاط

فأحبه الجميع ولم يكن بينهم من لم يدع له بالخير ودوام الترقي

* * *

قدم استرن تربرن الى بلاط الملك غسطاف ادولف سنة ١٦١٧ . وفي سنة ١٦١٩ قلد رتبة حاجب الملك ثم رتبة رئيس الحرس الملوكي وقد راق له الزمان وصار عشير الامراء والنبلاء .

وحدث في هذه السنة ان الكونت اكسل ليلي مهردار الدولة الاسوجية قد احيا ليلة رقص شائقة دعا اليها الملك ورجال الدولة والاعيان وجمهوراً من نبيلات السيدات وكان جميع المدعوين متنكرين بأثواب المساخر وبوجوه مستعارة . ولما انتظم عقد الحضور صدحت الموسيقى ونهض الجميع للمخاصرة وسعى الرجال في انتقاء السيدات ودارت رحى الرقص كأمواج البحر الزاخر . وبصر الملك في اثناء الرقص بفتاة رشيقة القوام حسنة الهيئة فتانة الحركات كانت قبلة انظار جميع الحضور ، فلم يرفع بصره عنها . ولما انتهى الدور الاخير من الرقص ورفعت تلك الفتاة البرقع عن وجهها راى الملك جمالاً باهراً قيّد حواسه واستلب قلبه ولبث حيناً وهو مبهوت يتفرس في ذلك الجمال الملكي . ثم استدعى استرن اليه وامره ان يسأل عن هذه الحورية واهلها . فصدع استرن بالامر وامتزج بالحضور ولم يلبث ان رجع الى حيث كان الملك وقال له — هي انغردا ابنة البارون زالستروم . وكان البارون والد الفتاة من وجهاء البلاد واهل الثروة والنبل فيها ولم يكن له من النسل الا انغردا وكانت في شرخ الشباب ورونق الصبا وقد منحتها الطبيعة من الجمال الرائع والحسن البديع ما تفردت به عن كل حسناء سواها فلا عجب ان مال اليها الملك غسطاف ادولف وهو اذ ذاك في سن الشباب ولم يكن يعرف الحب قبلاً فما عتم ان صار ذلك الميل شغلاً له شاغلاً وقد اشتدّ الوجد في فؤاده حتى كاد ينسيه كل شيء في الوجود واصبح وهو الملك الشجاع الباسل الذي لم يغلب قط في ساحات النزال مغلوباً اسيراً لذوابل الاجفان

وما مضى الا يومان بعد ليلة الرقص المذكورة حتى خلا الملك باسترن وقال له — اني اشعر بحب هذه الحسناء (يريد انغردا) قد ملأ قلبي وسلبني الراحة فانطلق الى والديها وأنبئهما برغبتي في اتخاذ ابنتهما زوجة لي ولكنني لا اريد ان انال رضاها لكوني ملكاً بل اودّ ان يتم ذلك على وفق ارادتها الخاصة وخيرٌ لي ان أحرَم السعادة بكاملها من ان أُرغم انغردا على القبول بي إرغاماً . فحنى استرن رأسه علامة الخضوع وتوجه من ساعته الى قصر البارون زالستروم وكان في بعض ارباض العاصمة

ولا حاجة الى وصف ما خامر قلب البارون وزوجته من السرور عندما كاشفهما استرن بارادة الملك . اما انغردا فما علمت بذلك حتى ارتسمت الكآبة على وجهها ولم تجب بشيء . فدهش استرن وقال لها — اعلمي ايتها الآنسة الحسناء ان الملك لم يعرض هذا الامر عليك الا مدفوعاً بعواطف الحب الصحيح . فاغرورقت عينا انغردا بالدموع ولبثت صامتة . فقال البارون — لعل الدهشة قد ألجمت لسانها لانها صغيرة السن وقد قضت زمن حداثتها بعيدة عن ابهة العاصمة وفخفختها فيجب ان نمهلها مدة لتفتكر في الامر ملياً وتعطي الجواب النهائي . ثم التفت الى ابنته وقال لها — اذهبي الى مخدعك يا حبيبتي فلا يزال لديك وقت طويل للتفكر والتبصر والامر منوط بك وحدك لان جلالة الملك لا يريد ان يقترن بك قسراً . وقالت البارونة — ان ابنتي لا تزال طفلة فهي لا تعرف العالم ولعلها تستغرب تنازل الملك الى طلب يدها ولكنها متى ادركت الامر تشعر بالسعادة التامة وتعتبر رضى الملك عنها حظاً لا يعدله حظ

وكان الملك ينتظر بفارغ الصبر رجوع استرن . فلما رجع وقصّ عليه ما كان من حديثه مع انغردا ووالديها انقبضت نفسه وقال — ان التاج الملوكي وحده لا يستطيع ان يغري القلوب ويهيج الحبّ فيها فلا بد ان تكون انغردا مرتبطة بحب آخر او انها لم ترَ فيّ ما يجعلني اهلاً لحبها . وحاول استرن ان يسرّي من غم

الملك فقال — ان الفتاة لم تصرح بافكارها يا مولاي ولعل ذلك ناتج عن دهشتها ورهبتها من هذه المفاجأة ولا يبعد انها متى عاد اليها صوابها وتأملت في الامر تظهر تمام رضاها وسرورها · قال — اذهب اذاً اليها مرةً اخرى وخاطبها على انفراد ولا تنس اني لا ابغي الحصول عليها على غير رضاها

فانطلق استرن بعد ايام الى قصر البارون زالستروم واجتمع بانغردا ووالديها ولبث عندهم بضعة ايام كان فيها موضوع الاكرام والثقة · وكان يشعر في حين انفراده بانغردا بانعطاف شديد اليها وسرور لا يوصف وكانت الفتاة ترتاح الى مجالسته كل الارتياح ولكنها كانت تنقبض وتنتحب كلما ذكر لها امر الزواج حتى ايقن استرن انها لا تميل الى الملك ليس لانها ترهبه بل لانها تحب سواه

وشعر استرن بان افكاره كلها اصبحت متجهة الى انغردا ولم يعد يحلو له الا محادثتها واذا خلا بنفسه كان يتمثلها في كل دقيقة ولكنه شعر في الوقت نفسه بخيانته لمولاه الملك لمجرد افتكاره بانغردا فودعها وانقلب راجعاً الى القصر وأخبر الملك بانه لم يستطع ان يظفر بجواب صريح من انغردا · فانقلب الضوء في عيني غسطاف ادولف ظلاماً وقال لاسترن — لا شك ان للفتاة حبيباً وقفت له قلبها فليس في يدها ان تتحول عنه الى غيره ولو كان هذا الغير ملكاً ولكن من هو هذا الحبيب الذي اجترأ على مزاحمتي في الحب ؟ اني ابغي معرفته لانتقم منه شر الانتقام · فقال استرن برزانة — انك ايها الملك قد طلبت اليَّ بحال دخولي في خدمة جلالتك ان اقول لك الحق على الدوام واراني الان مضطراً ان اصرح لك بان كلامك هذا هو في غير محله · انت تريد ان تنتقم من حبيب انغردا — ان كان لها حبيب — فهل من العدل ان تنتقم من بريء لم يتعمد الوقوف في طريق حبك؟ لنفرض ان انغردا تحب رجلاً سواك وقد ملكته قلبها فما ذنب هذا الحبيب؟ بل ما ذنبها هي اذا كان قلبها قد ملئ بحب سواك؟ · فطأطأ غسطاف رأسه لدى سماعه هذا الكلام وقال — صدقت فليس على القلوب من حرج في الحب ولكني احب انغردا يا استرن وقد بلغ الهيام مني مبلغاً لا اطيق الصبر معه على هذه الحالة فلا عجب ان يتولاني الغضب وسوء الظن بكل انسان حتى بك يا خادمي الامين · فذهل استرن وقال — وبي ايضاً تسيء الظن يا مولاي ؟ قال — نعم مع اني واثق من اخلاصك ووفائك كل الثقة ولكن هذا الحب قد اعمى بصيرتي وافقدني الرشد فدعني وحدي ولا تحاول تعزيتي اذ لا سبيل للتعزية الى نفسي

فانصرف استرن لشأنه وهو يقول في نفسه : ان الملك قد اساء ظنه بي وهو مصيب · انه يشعر بوجود مزاحم له في حبه لانغردا وقد صدق شعوره وما هذا المزاحم الا انا · ان الملك قد احسن اليَّ فرفعني من حالة البؤس الى ذروة المجد والسعادة ووضع كل ثقته فيَّ فكافأته شراً بدل الخير وقابلت احسانه بالاساءة · اني قد احببت انغردا من اول نظرة ولعلها احبتني كذلك ولكني كتمت عنها عواطفي فبقي حبي لها سراً في داخلي لم ابح به بكلمة او باشارة ويجب ان ادفن هذا الحب في قلبي لئلا أُعتبر خائناً للملك في عملي كما خنته في عواطفي وانا لا ادري

وبعد ايام عاد استرن فتوجه الى قصر البارون زالستروم فألفى انغردا عليلة وقد لازمت سريرها وعلا الاصفرار وجهها · فاضطرب وقال لها وهو يحاول اخفاء ما به — ان جلالة الملك لا يطيق ان يعلم بمرضك ايتها الحسناء لانه لا يحيا الان الا بك فتشددي وانظري الى ما ستصيرين اليه من السعادة والمجد باقترانك بغسطاف ادولف وهو من افضل ملوك هذا العصر · فهزت انغردا رأسها وقالت — لم اجبك قبل الان بكلمة عما يختلج به قلبي اما اليوم فقد عزمت على التصريح فاسمع : اني اجل غسطاف ادولف واحبه كملك ليس الا فاذهب وقل له ان لا يطمع في قلبي لانه لسواه · قال — اذاً فانت تحبين غير الملك · قالت — نعم ولا تسلني عن حبي لانه

سرّي الخاص الذي اودُّ ان اموت به · فأجفل استرن واخذ يد انفردا بيده وهو لا يدري ماذا يفعل وقال بصوت مضطرب — انتِ تموتين؟ كلا ايتها الفتانة وحرام ان يذوي مثل هذا الغصن ويذبل مثل هذا الحسن · فابتسمت انفردا وقالت ويدها لا تزال في يد استرن — اني اشعر بدنو اجلي ويجب ان اموت فذلك خيرٌ لي وأبقى لحبيبي · قالت ذلك وتساقطت الدموع من مقلتيها ، فاستوت في سريرها وقالت لاسترن — واني اسألك ان لا تعود الى زيارتنا الاّ متى بلغك نبأ موتي فحينئذٍ تأتي الى هنا لتعزية والدي · · · ان ايامي قد اصبحت معدودة يا استرن ولا البث ان اموت لاني لا استطيع ان احب الملك ولا استطيع ان افدي حبيبي الا بموتي ، فعد الى الملك وقل له ما شئتَ واعلم باني سأبقى مقيمة على حبي لمن اصطفاه فؤادي الى آخر نسمة من حياتي

فتأثر استرن شديداً وسقط من عينيه دمعتان حارتان مسحهما في الحال وعاد فأخذ يد انفردا وقبلها ثم خرج ورجع من حيث اتى وهو على غير هدى · ولما مثل بين يدي الملك خرّ امامه وقال — اسألك يا مولاي ان تعفيني من خدمتك وتطردني من امام وجهك لاني غير اهل لان اكون قريباً منك ، انك ايها الملك قد رفعتني الى رتبة يحسدني عليها النبلاء والعظماء فجحدتُ نعمتك وقابلتك بالشر بدل الخير ، فانا هو مزاحمك في حب انفردا لاني احبها واعبدها فافعل بي ما انت فاعل

فلما سمع الملك هذا الكلام انقلبت سحنته فجحظت عيناه وتطاير الشرر من مقلتيه وصاح باسترن — ويحك ماذا تقول ؟ قال — لقد انبأتك بالواقع وانا الان مستعد ان احتمل كل انواع العقاب والموت · قال — ايها العبد العقوق انك لا تستحق ان تمسّك يدي بسوء فسأعاقبك على هذه الخيانة شرّ العقاب · قال — واني انتظر كل ذلك بثبات جأش وبدون تذمر ، ولكن يجب ان تعلم ايها الملك باني لم اخنك كما ظننتَ لان انفردا زالست وم لم تسمع من فمي اقل كلمة او اقل اشارة تدل على الحب ·

فقال الملك وقد ارغى وازبد — انك قد ازدريتني ايها الدنيء ما شئت وتريد الان ان تمثل دورك مرة اخرى · قال هذا واستدعى بعض الخفراء وقال لهم مشيراً الى استرن — خذوا منه سيفه وجرّدوه من اثوابه وألبسوه اطماره التي كان مرتدياً بها قبل ان يدخل في خدمة البلاط وزجوه في احقر السجون الى صدور امر اخر مني · ولما قال ذلك خرج وهو يرتعد من شدة الغضب · واقتيد استرن الى السجن ووُضعت الاغلال في يديه ورجليه

* * *

وانتشر خبر اعتقال استرن انتشار البرق في كل جهات استوكهلم وتقوَّل الناس في ذلك ما شاءوا واما الحقيقة فلم يعلمها احد · واقام الملك بضعة ايام لا يخرج من قصره ولا يقبل احداً وكان مضطرب الفكر حزين النفس · وخرج بعد ذلك الى حديقة القصر ترويحاً للنفس واضطجع تحت بعض الادواح العظيمة وغرق في تأملاته · وان هو كذلك اذ دنا منه فلاح باثواب بسيطة فانطرح عند قدميه وقال — أبتهل اليك ايها الملك ان تأمر باطلاق سراح استرن لانه مظلوم واذا كنت تأبى عليَّ ذلك فأسألك ان تزجني واياه في سجن واحد فقد كان استرن صديقي وهو فلاح ولبث كذلك وهو من اقرب المقرَّبين الى جلالتك · فعرف الملك ان مخاطبه هو استنغ رفيق استرن — فهزّ رأسه وقال — لا تذكّرني به يا استنغ لاني لم اعد اصدق احداً

قال ذلك ونهض وهو يتأوه متوجعاً ثم عاد الى القصر فرأى عربة واقفة عند المدخل وقد ترجلت منها سيدتان لم يكد الملك ينظر اليهما حتى جعل يضطرب وينتفض كالعصفور ولم يبطئ ان اندفع اليهما بقوة غريبة · ولا عجب في ذلك فقد كانت احدى السيدتين انفردا والاخرى والدتها · ولما وصل اليهما ابتدرته الوالدة قائلة — عفواً ايها الملك فقد جئتك الان بابنتي لانها ألحت علي بذلك فهي مريضة وعلى شفا الخطر الشديد ولكنها عزمت على المثول امامك واثقة برحمتك وعدلك ان تردّ اليها راحتها المسلوبة

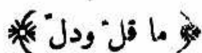
وكأنّ الملك لم يسمع كلام البارونة لانه لم يجبها بشيءٍ بل تقدم الى انفردا وقال—اهذا انت يا انفردا؟ فما الذي جاء بك اليّ؟ قولي فكل شيءٍ مقضيّ لكِ. قالت — ان ثقتي بشهامة عواطفك قد حملتني اليك فاعلم ايها الملك ان استرن مظلوم فيما أُلصق به من تهمة الخيانة وانت ارفع من ان تعامل البريء بمثل هذه القسوة لانها لا تليق بجلالة شأنك وانفة نفسك. فجحظت عينا الملك وقال — انتِ متسرعة في حكمك يا انفردا فما الذي تريدين؟ قالت — اريد ان اعيد الى نفسك راحتها المفقودة. انك لا تقدر ان تكون ظالماً الى هذا الحد وتحكم على البريء بمثل هذا الجور. ان استرن اشتهر لدى الخاص والعام باخلاقه الفاضلة ونفسهِ الابية وانا قد شعرت بالميل اليه قبل ان رأيته ُولما اخذ يتردّد الى قصرنا ويحدثني بميل جلالتك اليّ ويبذل ما في طاقته لاستمالتي اليك عظم امره في عيني لهذه العواطف الشريفة وكان ذلك أدعى الى اشتداد ميلي اليه وتعلقي به. فقاطعها الملك قائلاً — وعند ذلك كاشفك ولا شك بحبه لك فكيف اجترأ على ذلك؟ قالت — اخطأت ايها الملك! ان استرن لم يذكر كلمة عن نفسه اوعن حبه بل كان كل حديثه عنك وانا لم ادر بحب استرن لي الا الآن من جلالتك. نعم اني أحببته بكل ما في نفسي من قوة الحب ولكنني آثرتُ الكتمان لاني لم أرَ منه ما يدل على تبادل هذه العواطف فانظر الان يا مولاي ما اقدر هذا الرجل على ضبط نفسه واخفاء عواطفه

فتنهد غسطاف بتأوه وقال — آه ما اشقاني يا انفردا! فقد وعدت نفسي بان اتخذكِ قسيمة حياتي وشريكة لي في عرش اسوج واما انتِ فاحرقتِ قلبي بصدودك وما ذنبي الا اني احبك واهواك. قالت — لكنني لا استطيع ان اقابلك بمثل حبك اذ ليس في سلطة احد ولو ملكاً ان يستولي على ازمة القلوب وليس لي ان اتصرف بما ليس لي كما اشاء. فقد تملكني حب استرن على غير ارادتي وارادته وها انذا الان كما تراني نحيلة عليلة ولم يبق لي رجاء في هذه الحياة. غير اني اردتُ قبل ان افارق هذه الدنيا ان اجتمع بك واسألك ان تفرج عن استرن لانه مظلوم. قالت ذلك وشرقت بدموعها وكادت تسقط الى الارض خائرة القوى. فذعر الملك ووقف كمن تتكسر النصال على اوصاله وهو لا يدري ماذا يفعل. وبعد ان صمت حيناً قال — كلا يا انفردا انكِ لا تموتين واسترن ليس مذنباً كما ظننتُ وانا لا الومك على هيامكِ به

قال ذلك وامر احد الحجاب باستدعاء استرن من السجن ثم دخل بانفردا ووالدتها الى احدى ردهات القصر. وما كاد يستقر بهم المقام حتى دخل استرن باطماره القروية وبلحظة ادرك الحقيقة بتمامها. وكان الملك بحال دخول استرن قد نهض مرحباً به وقال — انك بريء يا استرن مما اتهمتك بهِ وهذه الاطمار التي ترتديها الانَ لشاهد عدل على ظلمي وعتوّي فانزعها عنك في الحال وعُد الى خدمتي وصداقتي كما كنتَ اولاً واعلم باني لا اجد تكفيراً عما جنيته عليك الأَ انْ اقدمك بنفسي الى حبيبتك وأحتفل بزفافكما في قصري فاهنأ معها ايها الصديق ولتكن حياة كلٍ منكما بركةً للآخر

وكان لكلام الملك هذا احسن تأثير في نفس انفردا فتورّدت وجنتاها ولمع بريق السرور في عينيها ولم تبطئ ان تعافت من علتها. وبعد ايام زُفت الى استرن وقضت حياتها معه على اتمّ الرغد واصفى النعيم محفوفين برعاية الملك الى آخر ايامها

وتزوج غسطاف ادولف بعد ذلك بسنة ماريا اليذورا براندنبورغ ومات موت الابطال سنة ١٦٣٢ في معركة ليوتسن وقد وقع استرن الى جانبه في تلك المعركة



ما قلّ ودلّ

الدنيا فريسة العامل الكدود النشيط

قيل لملك زال عنه مُلكهُ: ما الذي سلبك ملكك؟ قال: تأخيري عمل اليوم لغدٍ

من كان عبداً للحق فهو حرٌ

بيير لوتي والاتراك

رسالته الى انور باشا

لحضرة الكاتب الاديب نقولا افندي شكري

لا اخال احدًا من قرّاء النفائس يجهل «بيير لوتي» الكاتب الشاعر الفرنسوي، الحلو الاغاريد، الفكه القريض، الجم الادب. وقد تجلّى ادبهُ الخصيب وذكاؤه المفرط غريباً شاذاً نادرًا آية عجب ودهشة على ضفاف البسفور وفي سفوح جبال البلقان المترامية. فقد اقام في الاستانة ولا يزال مقيماً فيها حتى الان. وهو من اكبر المدافعين عن الاتراك حيث اظهر شخصيتهم في كثير من رواياته التي ألّفها. — شخصيةً زاهية، مشرقة لامعة. وكتاباتهُ عن حرب البلقان اصدق شاهد على ما اقول

ولعل اشهر ما ألّفه بيير لوتي في هذا الموضوع روايته المشهورة «التاعسات» وفيها وصف المرأة التركية وصفاً دقيقاً يدل على ارتباط بالحياة الاجتماعية التي يعيش فيها. ولكنه بالرغم من حبه الشديد للاتراك وتعشقه الآداب التركية فانه يخص ابدًا قومَهُ بالوجهة اللامعة من رواياتهُ. حيث يجري في احساسه عامل نفساني طبيعي يصرخ ابدًا فيه. وهو عامل الحيوية القومية، الخفية في الفرد. هو شعور محتجب غريب يربط الانسان بالحياة الاجتماعية التي يعيش فيها. وكذلك كل كاتب يعيش في امة حية. فاذا كتب فانما يعطي الانسانية آداب امته، وينحني امام هذا العامل النفساني الكبير، فيعد هذه الآداب اكبر مقياس لاداب الانسانية كلها.

ومن هنا نشأ الزهو الاجتماعي السائد في الامم الحية الشاعرة بذاتيتها المحسّة حيويتها

ولا ادلّ من ذلك سوى تطوعه في الجيش الفرنسوي عند نشوب الحرب العامة ومحاربته الاتراك في الدردنيل، بالرغم عن حبه الامة التركية ودفاعه عنها، وتشهيره باعمال البلغار في غضون الحرب البلقانية

وقد كتب بيير لوتي في اوائل الحرب العامّة، قبل ان تُقدم تركيا على الاسهام فيها، خطاباً رقيق الديباجة بديع المعنى الى انور باشا ينصحه ان يبتعد بوطنه عن ويلات القتال وشره. وقد عثرتُ على صورة هذا الخطاب في مجلة «رسملى كتاب» التركية فرأيتُ ان أعرّبه لقرّاء النفائس وهذا ما جاء فيه:

روشفور في ٤ سبتمبر ١٩١٤

اخي العزيز وصديقي العظيم

ارجو ان تعفو عن كتابتي اليك. وما الباعث على كتابي هذا الأ حبي لك واعجابي بك وببلادك التي كدتُ أتخذها لي وطناً ثانياً

لقد ظهرتَ في الارض التي حول طرابلس بطلاً صنديدًا، ووقفتَ لا خوفاً ولا رهباً، وثبتَ وانت قليل حيال اعدائك وهم كثيرون

ثم انت الذي بشدتك وسطوتك ورهبتك طهّرتَ البلاد من القسوة والشناعة والنهب

والسلب . ولقد شهدتُ منك أنفتك وغضبك واشمئزازك من فظائع البلغار . وقد طابتَ الي ان ازور بنفسي في سيارتك أطلال تلك القرى التي مرّ فوقها اولئك القتلة

ليكن ذلك ... ولكن دعني اخبرك بحقيقة كنتَ ولا ريب تجهلها حتى الان : ان الالمان في بلجكا وفي فرنسا يرتكبون اليوم هذه الفظائع بعينها ، وهي التي ارتكبها البلغار في ارضكم ، بل هي افظع منها بآلاف من المرات واشدُّ نكرًا . لان البلغار قوم جبليون يعيشون على الفطرة الاولى وقد استأثرت بأرواحهم عصبية العقيدة وجهالة الدين . ولكن هؤلاء قوم متمدنون . نعم متمدنون وأأسفاه !

ان تركيا تطمح اليوم الى استرداد جزائرها . وهذا لا يغيب عن نظر احد . ولكني أرتعد مخافة ان تذهب في الحرب بعيدًا وأأسفاه ! اني احذر التأثير الذي تغرى به مملكتك العزيزة وشخصك من ذلك الانسان . لانه ولا ريب رأى ما شجعه على استخدام وطنيتك الحارة وحميتك الجميلة ، فهو يستهويك ويمدك وعود الانتقام لك والاخذ بثأر بلادك فحذار من اكاذيبه . وانا واثق انه حاول جهده ان يمنع الحقيقة ان تصل اليك ، والا اثار انفة فؤادك الجندي ، المخلص الابي ...

وكما استطاع ان يقنع فريقًا من امته قد عرف كيف يقنعك بان هذه المجازر التي أقامها كانت على كره منه . كلا ليس الامر كذلك . انها خطة من قبل موضوعة وطرائق مرسومة ..

ما اشدَّ ما يكون ألمي وحزني اذا قُدّر لي ان ارى تركيتنا العزيزة قد خُدعت بهذا الانسان فتعثرت في اذياله الى مخاطرة مرعبة !

ان لك يا صديقي سلطانًا على امتك واثرًا في شعبك . فهل انت رادّها عن الطريق الوعر الذي تريد ان تسير فيه ؟

ان كتابي سيغيب في الطريق . ولكن لعلك اذ يصل الى يدك تكون قد فتحت عينيك على رغم هذه الشباك التي تحوطك .. اعفُ عني رغبتي في ان اكون في عداد الذين ستصلك الحقيقة على ايديهم

ان لي ايمانًا شديدًا باننا الظافرون بالنصر ولكن ابتهاجي بيوم الخلاص سيسدل عليه الحداد اذا قُدّر لي ان ارى وطني الثاني — وطني الشرقي — دفينًا تحت الانقاض ...

﴿ كلمات في الحرية ﴾

* اذا استغنت الطيور عن الهواء والنبات عن الماء والجسم عن الغذاء امكن للانسان ان يستغني عن الحرية

* لا يحارب الحرية الا من كان سيّئ النية

* الحرية دعامة من نخر اساسها سقط عليه

* كل قانون لا يحترم حرية الافراد مقضيٌّ عليه بالزوال لانه يحمل في طياته جرثومة فنائه

قواعد الحياة

لحضرة الفاضل حسين افندي روحي
(مفتش المعارف في فلسطين)

٣ — الاصلاح والانقلاب

* جميع الاصلاحات المؤسسة عَلَى المعارف الجديدة هي التي لا تزول • والفوائد الحقيقية الناجمة من كل حركة اهتم بها التاريخ هي التي تبقى بعد تمام تلك الحركات وربما عادت تلك الفوائد بعد ظهورها ظهوراً فعليًا بالضرر العظيم عَلَى الفرد اكثر من النفع

* في الاصلاح كما في المواضع الاخرى يكون المنحني في أغلب الاحايين أقصر خط

* اذا رغبت كل الاحزاب في الاصلاحات كان ذلك أدعى الى رواج بضاعة من شذ من بينهم وطلب الانقلاب

* الانقلابات لم تكن الا نكبات

* اذا كان جوف بدن الاصلاحات خاويًا فسرعان ما تؤول الى انقلابات

* لو كان الناس كلهم مصلحين كانت الاصلاحات على قاب قوسين أو أدنى

* ان قبل كل عاصفة سكونًا بينًا • وترى الذين يخدعون أنفسهم هم من هذا القبيل

* كل ما كان عامًا فيما بين ظهرانينا من الاصلاحات كان أهم من الخاص • فالاول عادة هو ما يلائم النفوس و يسد حاجات الزمن . والثاني عَلَى اعظم تقدير لم يكن الا معبراً عن آرائنا ومبلغ مدار كنا العقلية

* كل مصلح وكل مدافع في ذهنه مركز جاذبية مخصوص يجعل الامة باسرها تدور حوله

* الاصلاح بادىء بدء يجذب اليه ذوي المواهب ثم ذوي الاخلاق • واذا لم يتمكن الاصلاح من جذب الاخير اليه كان اعظم دليل عَلَى خلل ذلك الاصلاح

* الاصلاح مهمة واجبة وعليه يجب ملازمة السعي فيه كالواجب

* في الايام الآئلة الى الانقلابات ترون احوال الحياة اليومية تجعل المعتدلين رجالاً متطرفين • وكل متطرف يلعب دوره عَلَى الآخر • حركات الاصلاح كالقراييل تقتل من فتحاتها اناسًا اكثر عدداً مما تبقي

* ليس التحليل (الخراب والتدمير) والتصريح به بكافيين في الاصلاحات • بل يجب ايجاد العمار مكان ما تخرب • و يجب ان تتبع العقول المدمرة بعقول معمرة اذا كان المراد التقدم المعنوي

* ان الانقلابات السياسية والاقتصادية التي لا اثر للثورات الروحية في ايامها سريعة الزوال — ولا قيمة لها

* كل انقلاب — ساكنًا كان او متحركًا روحيًا كان او ماديًا — يفترس اهله

* التغييرات الروحية تتقدم التغييرات السياسية كما يتقدم الرعد البرق

* الناس الذين لا مأوى لهم بين الجماعات وكذلك الذين لا فائدة منهم بين المحاربين لا يحملون اثقالاً حربية كانت او غيرها • لان الامتعة وادارة المأكولات والملبوسات لا تكون الا في ساقة الجيش او مؤخرته

* في كل زمان قوتان وهما المد والموج • وقل من ينتبهون للمد بينما الكل يرون الموج

* الدول تفضل العلاج السريع الفعّال على البطيء احيانًا اذا ساء حالها

* لا تشرف البلاد عَلَى الانقلاب الا اذا ضاعت السياسة

* اذا اصبحت نسبة اذكياء الطبقات معضدة لدعوى الفرد فالاحوال كلها تغدو عَلَى وشك التغييرات العظيمة

* كل جيل يكرر امثال من قبله ولا يكررها الا في الشوءون الجديدة

أين السعادة ؟

رأيتُ المرءَ يطلبُ باجتهادٍ رغائبَ جمّةً تُفني اجتهادَه
يريدُ سعادةً و يصدُّ عنها لذاك أضاعَ في الدنيا مرادَه
فانَّ سعادةَ الانسان منه وفيه فلا تقلْ : أين السعادة ؟

حليم دموس

متى تنطفئ الشمس

بقلم شارل ريشاد عن كتابه اصل ونهاية العوالم
معرَّبة بقلم الكاتب الاديب عارف افندي العزوني

يجب علينا عندما تخوننا احدى القضايا النظرية ولا نجد لها حلاً يرجى ان نرجع الى اصطلاح قديم نافع كان الواسطة الوحيدة للبت في عدة نظريات ويتعلق هذا الاصطلاح في مراقبة الظواهر والحوادث الحسية للشمس — تلك التي ترشقنا بنورها الساطع فتدب بواسطته فينا الحركة والحياة فتونع غلالنا وتنمو مزروعاتنا • ومما لا شك فيه ان الشمس لو كانت قد خسرت شيئاً من قواها الحيوية فيما مضى للزمان نجد له اثراً في بعض ما ينمو من النباتات في مناطق الارض المختلفة كالاثمار مثلاً التي من شأنها ان تتأثر مباشرة بهذا النقص فتهجر مناطقها و تقترب من المناطق الحارة • ولكن لا يوجد اقل دليل على ثبوت هجرة من هذا القبيل • وغاية ما هنالك ان « اراغو » العالم الفلكي الشهير جمع بحذاقته بعض ملاحظات هذا شيء منها:

« لم يُشاهَد منذ اقدم العصور التاريخية ان نوعاً من انواع النباتات ابتعد عن المنطقة التي راقبه البشر ينمو و يكبر فيها وهاجر الى غيرها • فلا يزال شجر الزيتون يتقطر منه زيته الصافي • ولا تزال كرمة العنب تخرج عصيرهـــا الشهي • وما فتئ التين يعطي مواده السكرية الشافية للصدور في ذات المناطق التي عاشت و كبرت فيها جميعها • وهكذا الحال مع النخيل زينة الصحراء فبدلاً من ان نراه يزحف الى الجنوب كما تتطلب طبيعته المتأثرة من البرد نراه على الضد من ذلك زاحفاً الى الشمال الى ان يختلط مع اشجار الصنوبر و يبرز بينها متباهياً بقامته الهيفاء كما هي الحال في مقاطعة «البروفنس» الجميلة • وقد عرف الانسان هذه الاشجار منذ ستة آلاف سنة فدل تمكنها من التربة التي نمت فيها على ان اشعة الشمس لم تخسر شيئاً محسوساً من حرارتها وقواها الحيوية »

ان كل ما هو محدود النفاد يُستهلَك حتماً كله فاذا لم يكن لاشعاع الشمس تأثير كبير عليها في امر التخفيف من حدة حرارتها فعلى الأقل ان نفاد ما هو مدّخر فيها من الوقود الغازي سيؤدي بها الى النتيجة المنتظرة الا وهي الانطفاء فالاضمحلال • والسفع الشمسية هي اقطع دليل على ذلك • ولا خوف من حدوث شيء من هذا القبيل الان اذ ان الاجيال هي التي ستتكفل بتنفيذ هذا الامر بالدقة التامة

وها انا ذا ارفع الستار الان عن بعض نظريات توصلنا الى حلها في الوقت الحاضر: فقد ذكر العالم الفلكي الشهير « لابلاس » ان الضعف الذي طرأ عَلَى اشعاعات الشمس منذ ايام « ايبارك » لم تتجاوز اكثر من عُشر الدرجة وذلك منذ الفي سنة • فلنفترض ان هذا القول صحيح ولنتصور ان الشمس ماشية حتماً الى الانطفاء فالاضمحلال ولنحسب لها

حسابها · فاذا كانت شمسنا تخسر عُشر الدرجة من حرارتها في الفي سنة فيلزمها لكي تخسر درجة كاملة عشرون الف سنة ويلزمها مئتا الف سنة لكي تخسر عشر درجات ومليونا سنة لكي تخسرمئة درجة · ويلزمها اخيراً مئة وستون مليارًا من السنين لكي تخسر الثمانية ملايين درجة التي عرفناها للشمس بعد الحساب الدقيق ·· ولكن نظرية لابلاس هذه تخالف ما قاله الرياضي « بواسون » الذي ابان ان الارض عندما كانت كتلة ملتهبة ثم بردت وخسرت حرارتها وصار سطحها صالحًا للحياة مكثت على ذلك مئة مليون سنة او بالحري كانت تخسر من حرارتها كل مدة الثلاثة والثلاثين الف سنة درجة واحدة · فلو افترضنا ان قطر الشمس هو بحجم قطر الارض لوجب عليها ان تخسر الدرجة الواحدة من حرارتها في ثلاثة وثلاثين الف سنة وليس في عشرين الفًا · ولكن الامر غير ذلك · فان قطر الشمس يفوق قطر الارض بمئة وعشر مرات فلو طبقنا هذه الفكرة عَلَى الشمس لوجدنا بعد اجراء عملية الضرب ان الحاصل اربعمئة مليون سنة اي ان الشمس بموجب هذه الفكرة تخسر الدرجة الواحدة من حرارتها بهذه المدة · ولو احببنا ان نعرف بالدقة التامة كم يلزمها من السنين لكي يتم اضمحلالها وتلاشيها القطعي نضرب هذا العدد في ٨ ملايين درجة وهي درجات حرارة الشمس المعروفة فيحصل لنا ثلاثة ملايين ومئتا الف مليار سنة · فاذا كانت الشمس تضمحل وتنطفئ على هذه الطريقة فهي اذاً ماشية في طريق موت بطيء ولكنه اكيد

رؤيا الحلم

بقلم حضرة الاستاذ الفاضل نديم افندي الملاح

ملكتني عيناي ليلة فرأيت فيما يرى النائم كأن القيامة قد قامت ، فنصب الصراط ووضعت الموازين ، وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد

وبينا انا انظر من كثب الى هول ذلك الموقف وأتأمل بحال الناس واشتغال كل منهم بنفسه عن امه وابيه وفصيلته التي تؤويه ، اذ لاحت مني التفاتة الى رجل وُثقت يداه ورجلاه بسلاسل اربع قد اخذ باطرافها اربعة من الزبانية ، ورأيت خامسًا ممسكًا بيديه عمود حديد يدفع به ذلك الرجل، فيظلع مسرعًا الى الامام وترخى له السلاسل حتى اذا بلغ باب الجنة وكاد يدخلها جذبته الزبانية جذبةً ينخلع لها قلبه، ويتفاقم بها عذابه . فاذا انتهى اليهم اعاد عليه صاحب العمود الكرة واعادوا دواليك الى ما ليس له نهاية او حد

رأيت ذلك المنظر الرهيب فاخذ مني العجب مأخذه ووددت لو اعلم ما اقترف هذا الرجل من الآثام التي جرّت عليه المصائب واستحق بها هذا العذاب الاليم

واني لكذلك اذ اقبل علي شيخ شديد بياض

الثياب ، عَلَى وجهه سيماء الهيبة والوقار ، فحياني تحية حييته باحسن منها وسألته عن شأن الرجل فاجابني قائلاً : ان هذا الرجل الذي تراه كان في الدنيا من اهل الغدر الذين يخلفون بوعودهم ، ويخيسون بما وثقوا من عهودهم ، فاراد ربك ان يجعل جزاءه من جنس عمله اذ : كل نفس بما كسبت رهينة — وان ليس للانسان الا ما سعى . فأمر بعض زبانيته ان يرهقوه بهذه السلاسل و يعاقبوه بما ترى من العقاب الشديد . ولقد أُوتي هذا الرجل عذاباً ضعفاً وأُذيق من النقمة الوانًا في دنياه وآخرته ، اذ انه حينما كان يرمي الناس في الحياة الدنيا بغدره ويفوّق اليهم سهام شره ومكره ، فروا منه فرار السليم من الاجرب ، وتربصوا به الدوائر ، حتى اذا قلب له الدهر ظهر المجن وقذف به من حالق المجد والسلطان ، هبّوا يناقشونه الحساب و يسقونه من الانتقام بالكاس المترعة ، و كانوا عليه حرباً مع الايام التي لا يدوم لها حال ، ولا يظل فيها شيء لا يعروه التغير والزوال

ما اقبح الغدر وما اسوأ عاقبته ! ولكم رأينا من غادر قد اغترّ بقوته وتاه عَلَى الضعيف بسطوته وعظمته وعبث بحقوقه عيث الوليد بالعصفور والصولجان بالاكرة كانه من الغِيَر في مأمن ومن النوائب في حرز حريز . وما هي الاعشية او ضحاها حتى دارت عليه دائرة السوء واديل منه — و كل جانٍ يده الى فيه — والبغي مرتع مبتغيه وخيم

الغدر خلة ذميمة لا يقتنيها سوى النفوس الحقيرة التي ذهبت مروءتها وفسدت سرائرها وانسلخت من خلال الانسانية الفاضلة و كانت من خصال الحيوانية واللؤم في مثل نسج العنكبوت . ولو صُوِّر الغدر بالصورة التي تليق به وتمثله لما كان الا شيطاناً رجيماً او عجوزاً عقيماً قوس ظهرها وغارت عيناها وتجعدت اسارير وجهها ونضب ماء حسنها حتى ردت الى اسفه العمر وارذله وحلت عليها اللعنة من الناس اجمعين

ولم يكد يتم الشيخ مقالته في وصف الغدر وبيان عواقبه الوخيمة حتى فتحتُ عيني فعلمتُ اني كنت في منام . وما ادري أرؤيا صالحة ما رأيت ام هي اضغاث احلام ؟ — وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين

لقد راعتني هذه الرؤيا بروائعها ، وما برحت آثارها في نفسي وما إخالها الا صالحة صادقة ، وان ما لقيه ذلك الغادر من العذاب المهين لهو اقل مما يستحقه جزاء غدره ، وما يقترفه من الذنوب والمخازي الفظيعة المخجلة . حمانا الله من غدر الغادرين ووقانا شر الماكرين الظالمين ، وجعلنا ممن يجنون ثمار وفائهم ، ويفون للناس بعهودهم ، — ان العهد كان مسؤولا



من كلام العرب : لا تشرب السمّ اتكالاً على ما عندك من الترياق

في المحكمة

— او الزواج اليوم —

لحضرة الشاعر الناثر الرقيق اسكندر افندي الخوري البيتجالي

الزوجة

سيدة في المحكمهْ   تصيح هل من مرحمهْ ؟
زوجي هو المجرم والله   ولستُ المجرمه
سلمته نفساً على   سواه هيْ محرّمه
فخانني ولم أخن   عهداً له او كلمه
بأن هوى غيري وقد   أقصاني عنه معدمه
وليس لي سواكِ من   منصفة يا محكمه

الزوج

قد كذبت ايتها   المحكمة المحترمه
قضيتي مع هذه   قضية مسلمه
ما كنتُ يوماً زوجها   ولم تكن لي محرمه
رأيتها يوماً وهي   لفكرها مستسلمه
فابتسمت اذ ذاك لي   ابتسامة المسلمه
فقلتُ في نفسيَ ماذا   تبتغي المبتسمه
دنوتُ منها قارئاً   في ناظريها كلمه
فهمتها حالاً فبانت   مهجتي مضطرمه
بها غدوتُ مغرماً   وبي غدت هي مغرمه
ولم افق الا وهي   خليلتي المعظمه
ولم اكن بمرغم   ولم تكن بمرغمه
وبعد ما عاشت معي   عزيزة مكرّمه
وقد دنا افتراقنا   وحان اطلاق الأمه
كما هي العادة في   زواجنا يا محكمه
في عصرنا هذا وفي   ماضي العصور المظلمه
تركتها ولم تكن   تحوي بشيء مجرمه
وقلت عيشي حرّة   لا أمة مستخدمه
هل بعد هذا ظالماً   أدعى لهذي الظالمه
او مجرماً ايتها   المحكمة المحترمه ؟

القاضي

ما هكذا شرع النصارى   والشعوب المسلمه
كلاّ ولا ناموس موسى   هكذا او برهمه
حتى ولا القانون يرضى   بالخنا والمظلمه
كلا ولا آداب عُرب   او لغات معجمه
أضحى الزواج لعبة   لا سُنّةً منتظمه
للهو بل للعشق واللذات   اضحت خادمه
تبّاً لعصرٍ قُدّست   فيه المبادي الغاشمه
حتى خلا من كل شيءٍ   فيه روح المكرمه
يا ايها الخصمان لا   قوبلتما بالمرحمه
حلّلتما ما الله   قد خطّأه وحرّمه
كلا كما في الشرع عندي   مجرم ومجرمه
للسجن فلتخفركما   من الجنود شرذمه
ولتقضيا فيه شهوراً   مدّةً متممه
كي يرجع القانون عن   هذي الامور المؤلمه
هذا قرارٌ صادرٌ   من فم هذي المحكمه
لا يقبل استئنافه   احكامه هيْ مبرمه

نابوليون بونابرت

نكتب هذا الفصل بمناسبة اليوبيل المئوي الاول لوفاة نابوليون الاكبر . فقد توفي في ٥ ايار سنة ١٨٢١ في جزيرة القديسة هيلانة ولما كان اليوم الخامس من هذا الشهر من السنة الحالية أقيمت الحفلات التذكارية الكثيرة في جميع انحاء العالم وصدرت الصحف على اختلاف لغاتها وفي كلٍّ منها شيء عن نابوليون — ذلك البطل الذي لم يعلُ نجم قائدٍ ولا ملك ولا سياسي نجمهُ، والذي كسفت

شمسهُ شموسَ الاسكندر وقيصر وهنيبال ، لانه دوّخ الارض وغيَّر وجه قارّة اوربا وقلب نظام العالم ، وترك وراءه آثاراً خالدة لا تماثلها آثار ابطال التاريخ مجتمعةً

***

وُلد نابوليون في اجاشيو عاصمة جزيرة كورسكا في ١٥ آب سنة ١٧٦٩ . وكانت كورسكا تابعةً لولاية جنوى الايطالية . فحاربتها فرنسا وضمَّتها الى املاكها سنة ١٧٦٩

وكان ابوه شارل بونابرت موظفاً خاملاً . اما امه ليتيزيا رامولينو فكانت مشهورة بقوة الارادة وصلابة الرأي الى حدّ العِناد . وكانا ايطاليّين كسائرِ سكان كورسكا في ذلك العهد

ولما بلغ نابوليون العاشرة من عمره دخل احدى المدارس الحربية في مدينة بريان . وكان ممتازاً بدروسه الرياضية ميّالاً الى درس التاريخ والجغرافيا

وفي سنة ١٧٨٤ دخل مدرسة باريس الحربية حيث أقام سنة نال في اعقابها رتبة ضابط في المدفعية الفرنسوية

وكان وقتئذٍ عهد الثورة الفرنسوية فانضمّ نابوليون الى حزب الثورة ، وحارب الانكليز سنة ١٧٩٣ واضطرَّهم الى إخلاء مدينة طولون

ولما كانت سنة ١٧٩٥ عُيّن مساعداً لباراس — احد حكّام فرنسا الخمسة في ذلك العهد — وكان يحارب اعداء الثورة

ولما بلغ نابوليونُ السنةَ السابعة والعشرين من عمره جُعل قائداً عاماً للجيش الفرنسوي في ايطاليا . واخذت شهرته من ذلك الحين تنتشر في الآفاق .

وقد انتصر في ايطاليا عَلَى الجيش النمسوي . وكانت النمسا آنئذٍ اشهر دول اوربا عَلَى الاطلاق ، فقهرها نابوليون وأجلاها عن ايطاليا ، واضطرّ الامبراطورَ النمسوي الى عقد الصلح في ١٧ تشرين الاول سنة ١٧٩٧ . واستولت فرنسا بمقتضى هذا الصلح عَلَى الجانب الايسر من نهر الرين كما استولت عَلَى بلجكا وقسم من هولندا وامتدّ نفوذها في ايطاليا كلها

وكان قد تزوَّج سنة ١٧٩٦ جوزفينَ ارملة الجنرال بوهارنه ، وكانت اكبر منه سناً ، ولكنها كانت رائعة الجمال ، وقد توَّجها بيده سنة ١٨٠٤ ثم طلَّقها سنة ١٨٠٩ لانها لم تلد له ولداً

وفي سنة ١٧٩٨ قدم نابوليون بجيشه الى مصر . وكان في عزمه ان يستولي عليها ليقضي عَلَى عظمة انكلترا ويضرب تجارتها ويقطع عليها طريق الهند . وكانت مصر في يد المماليك فحار بهم نابوليون ومزّق شملهم . غير انه لم ينجح في حملته هذه لان الاميرال نلسن الانكليزي كان يتعقبه في البحر المتوسط حتى اذا التقى بالاسطول الفرنسوي في خليج ابي قير حطَّمه تحطيماً . فسار نابوليون الى عكا يريد احتلال سوريا . فلحق به الانكليز الى هناك وحالوا دون تحقيق آماله في الشرق ، فعاد الى فرنسا سنة ١٧٩٩

وكان الشعب قد سئم الثورة والاضطراب والانقسام الشديد الذي كان ناشباً بين الحكام وزعماء الاحزاب ، فاستقبل نابوليونَ استقبالاً عظيماً على رجاء ان يخمد كل فتنة ويُسكّن كل اضطراب . وكانت السلطة في فرنسا في ذلك العهد في يد حكومة الديركتوار، وهي مؤلفة من خمسة رجال كان ينتخبهم مجلس الشيوخ . وكانت اوربا قد تألّبت على فرنسا تريد اذلالها . وقد انتصرت الجيوش المتحدة على الفرنسويين في عدة معارك . وكان السواد الاعظم من الفرنسويين يعتقد تمام الاعتقاد ان لا خلاص لفرنسا من مأزقها الحرج الاّ بنابوليون . وشعر هو بهذه الثقة العامة ، ورأى الفرصة سانحة لتحقيق ما كانت نفسه تطمح اليه، فاتفق مع بعض كبار رجال الحكومة وغيرهم من ذوي السلطة والنفوذ وقلب نظام حكومة الديركتوار وأنشأ حكومة جديدة عُرفت بحكومة القناصل . وكان ذلك في ٩ تشرين الثاني سنة ١٧٩٩

وكان قوام الحكومة الجديدة ثلاثة قناصل وقد جعلت مدة حكم كل منهم عشر سنوات . وكان نابوليون اولهم واعظمهم ، ولم يكن لرفيقيه شيء من السلطة الاّ بالاسم . ثم سعى فحصل من مجالس الامة على ان يكون قنصلاً مدى الحياة . واخذ من ذلك الحين يستأثر بالسلطة ويستبدّ بكل امر داخل البلاد وخارجها، وقد اصبح الحاكم المطلق لفرنسا كلها

وأيد نابوليون سلطتَهُ ونفوذَهُ بالنجاح الباهر الذي اصابه في حروبه وعلاقاته مع الدول وفي القوانين والشرائع التي وضعها للبلاد . فقد عاد وقهر النمسويين (سنة ١٨٠٠) في معركة مارنغو . وحالف امبراطور روسيا بعد ان كان من اعدائه المتألبين عليه . وعقد صلحاً مع النمسا (سنة ١٨٠١) . ومع انكلترا في اميان (سنة ١٨٠٢) . وأخمد الفتن الاهلية في فرنسا ، فازهرت فيها الصناعة والتجارة والمعارف . وسنّ القانون المدني الفرنسوي المشهور الذي لا يزال معروفاً باسمه في جميع انحاء العالم ، ومنه اقتبست سائر الامم . ووضع نظاماً مالياً جديداً . وأنشأ مدرسة باريس الجامعة التي تفرعت عنها بعد ذلك مدارس فرنسا الجامعة في المدن الاخرى . وعقد اتفاقاً مع البابا جعل الكنيسة بموجبه خاضعة للحكومة

غير ان السلام لم يتوطد طويلاً في اوربا . وكان الصلح بين فرنسا وبقية الدول اقرب الى الهدنة منه الى الصلح الحقيقي . لان نابوليون لم يكن من الذين يقنعون بالقليل وأنّى يقنع وهو من الذين لا حدّ لمطامعهم ولا أصلب من ارادتهم . وقد رأى نجمه صاعداً وفوزه مؤكداً فصحّت عزيمته على ان يفتح اوربا باسرها . ولهذا اخذ ، خلافاً لعهوده التي ارتبط بها، يتصرّف تصرُّف السيد الحُر في ايطاليا وسويسرا وهولندا ويستعد لمحاربة انكلترا من جديد . ولما رأى الانكليز منه ذلك عمدوا الى المراكب الفرنسوية التي كانت راسية في موانيهم

فاستولوا عليها. وكان ذلك اكثر ما يستطيع نابوليون احتماله ، فأرسل جيوشه سنة ١٨٠٣ لغزو انكلترا ، ولكن هذه الجيوش ما كادت تبلغ السواحل الشمالية من البلاد حتى عادت ادراجها ، لان البحر بين فرنسا وانكلترا كان يعجُّ عجيجاً بالاساطيل الانكليزية

وفي ١٨ ايار سنة ١٨٠٤ أجمع رجال الحكومة واعضاء مجالس الامة على جعل نابوليون امبراطوراً على فرنسا ولعلهم فعلوا ذلك بايعاز نابوليون نفسه.

وكانت حفلة تتويجه في ٢ كانون الاول سنة ١٨٠٤ باهرة جداً وقد دُعي اليها البابا بيوس السابع . غير ان نابوليون أبى ان يطاطيء رأسه للبابا عند التتويج ، بل اخذ التاج بيديه ووضعه علَى رأسه بنفسه . ثم توَّج زوجته جوزفين ايضاً . ولم يغب عن نابوليون ان وصوله الى عرش القياصرة انما كان بفضل انتصاراته المتوالية . وقد رأى انه لا يستطيع استبقاء السلطة الاَّ بانتصارات جديدة يحرزها . فأقام علَى اور با لهذا السبب حرباً عواناً بدعوى نشر مبادئ الثورة الفرنسوية والقضاء علَى مظالم الملوك المستبدّين. وكان يرمي ايضاً الى غاية اخرى وهي ان يبهر الناس بقوته وصولته و يكون سيد العالم بلا منازع

وكانت الجمهوريات الايطالية قد اتحدت فيما بينها علَى تكوين مملكة واحدة باسم المملكة الايطالية. وقد تمّ لها ذلك ونادت بنابوليون — وهو الذي حرَّرها من النمسا — ملِكاً عليها. فسار الى ميلان في ابهة الملك والعظمة وتُوّج في ٢٦ ايار سنة ١٨٠٥

وأوجست انكلترا وروسيا والنمسا خوفاً شديداً من نابوليون واسترساله في التوسع فاتفقت على مناهضته ولم تلبث جيوش هذه الدول ان جهزت وزحفت للحرب براً . وسار الاسطول الانكليزي بقيادة الاميرال نلسن الى الطرف الاغرّ — المعروف عند الافرنج باسم ترافلغار — حيث كانت سفن الاسطول الفرنسوي راسية. وقد نشبت بين الاسطولين معركة عظيمة حُطّمَ فيها الاسطول الفرنسوي وصُرع الاميرال نلسن في تلك المعركة وهو يشاهد النصر بعينيه

اما المعارك البريّة فكان النصر فيها كلها لنابوليون. وكان أشهرها وأعظمها معركة استرلتز في ٣ كانون الاول سنة ١٨٠٥ . وقد حارب فيها نابوليون النمسا وروسيا معاً . — ثم كانت معركتا اوراستات ويانا او جينا سنة ١٨٠٦ انتصر فيهما نابوليون على البروسيين وهزمهم شر هزيمة ودخل برلين . — ثم معركة فردلند وكانت معركة هائلة ضرب فيها نابوليون (في ١٤ حزيران سنة ١٨٠٧) الجيش الروسي والجيش الالماني ومزقهما كل ممزّق واضطرّ الامبراطورَ اسكندر الاول الروسي الى عقد الصلح في تلسيت . ولكنه عرض عليه في الوقت نفسه اقتسام العالم بين الاثنين علَى ان يكون نصفه لفرنسا والنصف الآخر لروسيا . — ثم عدة معارك مشهورة في النمسا (سنة ١٨٠٩) ربحها نابوليون ودخل ڤينا العاصمة

دخول الظافر باحتفال عز نظيره

وفي ١٦ كانون الاول سنة ١٨٠٩ طلّق نابوليون زوجته جوزفين لانها لم تلد له ولياً للعهد وتزوج في ١ نيسان سنة ١٨١٠ ماريا لويزا ابنة امبراطور النمسا . ولم تمض سنة عَلَى زواجه بها حتى ولدت له ولداً اطلق عليه نابوليون بحال ولادته لقب «ملك رومية »

وكان نابوليون قد بلغ ذروة المجد والصولة وامتدّت الامبراطورية الفرنسوية يومئذٍ حتى جبال الالب وحتى نهر التيبر . واقام على عروش الممالك الصغيرة ملوكاً من اخوته وانسبائه وقوّاده ، وكان لا يسود فيها الا امره . وكانت النمسا وبروسيا اطوع له من بنانه . واصبحت روسيا حليفة له . وأصبح هو على هذه الصورة صاحب الامر في اوربا وامبرطوراً ليس عَلَى فرنسا فقط بل على كل اوربا الغربية . ولم يبق عدواً له الا انكلترا ، ولكنها كانت بعيدة عنه ولا سبيل الى الوصول اليها فارتأى نابوليون محاربتها اقتصادياً وحظر عَلَى ممالك اوربا الاتجار معها

وما دخلت سنة ١٨١٢ حتى بدأ نجم سعد نابوليون بالافول ، وانتهى به الأمر اخيراً الى الفشل والسقوط، وقد تبدّل كل شيء كأنه لم يكن . وكان الفشل الاكبر الذي اصاب نابوليون ، وبقي ملازماً له الى النهاية ، في الحرب التي اثارها عَلَى روسيا بحجة انها نقضت عهدها له وعادت الى التعامل التجاري مع انكلترا . وقد جهّز نابوليون لهذه الحرب نحو ستمئة الف مقاتل وزحف بهم الى روسيا . وكان الروس ينسحبون امامه وهو يتقدم بتلك الجيوش الجرارة حتى بلغ موسكو واحتلها في شهر كانون الاول سنة ١٨١٢ وبات ينتظر عقد الصلح . ولكن خاب امله من هذه الجهة . لان الامبراطور اسكندر الاول الروسي قد رفض الدخول في كل مفاوضة مع العدو وأصرّ عَلَى المقاومة . ولم يكن في وسع نابوليون الصبر طويلاً وكان جيشه قد دبّ اليه الوهن بسبب قلة المؤونة والذخيرة وشدة البرد . وكان اهل المدينة قد اخلوها قبل دخول الغزاة اليها ثم اضرموا فيها النار فاحترقت . وخرج نابوليون منها كاسف البال حزيناً . وكان البرد والجوع يفتكان بجيشه شر الفتك فلم يرجع منه الا شراذم متفرقة متبعثرة . وكان الجيش الروسي يتبع الغزاة عَلَى الاثر ويناوشهم القتال ويسوقهم امامه حتى اجتازت شراذمهم القليلةُ الحدودَ . وهكذا انقلب الامر عَلَى صاحبه وقام البروسيون فانضموا الى روسيا وسارت جيوش الفريقين تزحف الى فرنسا لمحاربة نابوليون وانقاذ اوربا منه . وكانت انكلترا مشتركة معهم تمدهم بالمال والذخيرة وتحارب الفرنسويين في اسبانيا . وبعد بضعة اشهر انضمت اليهم النمسا ثم الامارات والممالك الالمانية الصغيرة . وفي شهر تشرين الاول سنة ١٨١٣ نشبت معركة ليبسك الشهيرة وقد انتصر فيها الحلفاء . وخسر نابوليون خسارة

فادحة ولم تعد تقوم له قائمة بعد ذلك · فتبعه الحلفاء وقد اجتازوا نهر الرين واخذوا يكتسحون البلاد الفرنسوية ووجهتهم باريس الى ان دخلوها اخيراً ظافرين في ١٩ اذار سنة ١٨١٤ واضطرَّ نابوليون الى التنازل عن العرش بطلب الحلفاء وقرار مجلس الشيوخ الفرنسوي · وقد وقَّع صكَّ التنازل في ٢٤ اذار سنة ١٨١٤ وخرج من فرنسا منفيّاً الى جزيرة إلبا الواقعة في البحر المتوسط بالقرب من كورسكا حيث اقام ستة اشهر · وكان الحلفاء قد اتفقوا على جعل حدود فرنسا كما كانت قبل سنة ١٧٩٢ وخلعوا اخوة نابوليون وذويه من مراكزهم وطردوهم من فرنسا · واعادوا الى العرش الفرنسوي اسرة بوربون وجعلوا منها لويس (الثامن عشر) ملكاً — وهو اخو لويس السادس عشر الذي في عهده نشبت الثورة الفرنسوية المشهورة وحكم الشعب الفرنسوي عليه بالاعدام

وفي شهر ايلول سنة ١٨١٤ عقد الحلفاء موئتمراً في فينا لتقرير احوال اوربا واعادة الامن اليها · ولكن قبل ان ينتهي هذا الموئتمر من اعماله فوجئت اوربا بخبر لم يكن في الحسبان وذلك ان المنفي العظيم قد عاد فجأة الى فرنسا (في ٢٦ شباط سنة ١٨١٥) ، فانحاز اليه الجيش ، فاستردَّ عرشه ، وهرب الملك البربوني

وعادت الدول فتألبت عليه وارسلت جيوشها لمحاربته · فاحرز نابوليون في اول الامر انتصاراً عظيماً · ولكنه غُلب اخيراً في معركة واترلو المشهورة (في ٢٨ حزيران سنة ١٨١٥) · وكانت مدة حكمه بعد رجوعه من جزيرة إلبا مئة يوم فقط ·

واراد نابوليون بعد انخذاله ان يهاجر الى اميركا الشمالية · غير ان الدول المتحدة أبت عليه ذلك ونفتهُ الى جزيرة القديسة هيلانة · وهي جزيرة صخرية رديئة الهوآء في القسم الجنوبي من الاوقيانوس الاتلنتيكي · وقد اقام فيها نابوليون ست سنوات قضاها في الذل والاسر فريداً وحيداً الى ان توفي في ٥ ايار سنة ١٨٢١ وله من العمر اثنتان وخمسون سنة · وقد نقلت جثته (بعد تسع عشرة سنة من وفاته) الى فرنسا ودُفنت في باريس في مأتم عظيم فاضت فيه الدموع انهاراً ولبس الناس الحداد حزناً والتياعاً

***

ومن نوادر نابوليون وهو في المنفى ان لورداً انكليزياً وزوجته مرّا بجزيرة القديسة هيلانة ورغبا اشد الرغبة في زيارة الاسير العظيم والتعرف به واعربا عن رغبتهما هذه لحاكم الجزيرة السير هدسون لو ، وكان نابوليون يكرهه اشد الكره · فكتب الحاكم اليه يدعوه لتناول طعام المساء في بيته وقد قال في كتابه : ان السير هدسون لو وزوجته اللادي لو يرجوان من الكونت برتران ان يبلغ الجنرال بونابرت دعوتهما لطعام المساء في بيتهما · فما قرأ الامبراطور تلك الرسالة حتى استشاط غضباً وصاح برتران

قائلاً — اياك ان تجيبه بكلمة بل أعدْ الرسالة اليه لئلّا يشعر بشيءٍ من خطه . عَلَى ان هدسون لم يبالِ برفض الدعوة ولم يمضِ الاسبوع حتى جاء لزيارته ، فما كان من الامبراطور ان قال له — عجبتُ منك كيف تجرأ عَلَى دعوتي ! فهل نسيتَ مَن اكون انا ومن تكون انت ؟ وكيف يخطر لك ان تدعو مثلي الى وليمتك ارضاء لرغبة ضيوفك ؟ اني ولئن فارقني السعد فليس بوسع انسان في العالم ان يجعل الامبراطور نابوليون وسيلة للتسلي واللهو

وبعد ان مضت السنة الاولى على اسر نابوليون جاء وفد من قبل الدول المتحالفة لفحص حالة الاسير واستقراء شؤونه . فاستقبلهم حاكم الجزيرة احسن استقبال وحيتهم حصون الجزيرة باطلاق المدافع . ولما استقر بهم المقام طلبوا مقابلة الامبراطور فأباها عليهم قائلاً — لا اقبل زيارتهم كوفد خصوصي مندوب من قبل دول المحالفة . وكان هدسون قد اتخذ رفضه هذا وسيلة لإغضابه والعمل عَلَى نكايته . فأصرّ عَلَى وجوب مقابلته الوفد . وأصر نابوليون عَلَى الرفض وقد صرّح لغير واحد من زائريه بقوله — اني استل خنجري وأطعن به صدر اول من يجرأ من رجال هذا الوفد فيجتاز باب مسكني

***

والى القارئ الان بعض اقوال نابوليون المأثورة وهو في منفاه :

قال : لستُ أَلقى شيئاً من الصعوبة في تعويد النفس عَلَى حياة العزلة والانفراد ولا سيما اذا امكن طالب العزلة ان يشغل وقته بما ينفع . فانني اقضي وقتاً طويلاً بين كتبي واوراقي حتى اذا خرجتُ لا اضجر ولا أقلق وانما اكون مشتاقاً لرؤية جنودي الابطال

وقال : لبستُ تاج فرنسا المصوغ من ذهب وتاج ايطاليا المصوغ من حديد . وقد أَلبستني الان انكلترا تاجاً اعظم من كليهما ، ألا وهو تاج الشوك الذي لبسه المسيح . وأنا أعتقد ان كل مسبة توجه نحوي وكل فظ يقصد اساءتي يضيف الى مجدي مجداً والى شرفي وسؤددي شرفاً وسؤدداً . وسوف تخلد انكلترا ذكري بما تصبه عَلَى رأسي من جام سخطها وما ترشقني به من سهام غيظها وانتقامها

وقال : ان للمصائب مجداً . فقد تنزل بالرجل كارثة فترفعه الى مقام الابطال . ولو لم تصبني الكارثات لبقي تاريخ حياتي ناقصاً . فاذا متُّ وانا عَلَى عرشي محاطاً بكل مظاهر البطش والقوة عجز المؤرخون والمفكرون عن حل اللغز الذي كان يحيط بحياتي . اما الان فقد حلّت المصيبةُ التي أصابتني عقدةَ من السنة الناس وأصبحوا في حلٍّ من التصريح بآرائهم وافكارهم بدون تستر

وقال : انني اقترفتُ ثلاث غلطات سياسية . الاولى انني لم أعقد مع انكلترا صلحاً بعد حروب اسبانيا . والثانية انني لم اكوّن مملكة بولندا . والثالثة انني واصلتُ السير الى موسكو وكان

يحسن بي ان أعقد صلحاً في درسدن وأن اتنازل عن همبورغ وغيرها مما لم يكن ينفعني

وأشدّ ما كان يؤلم نابوليون وهو في منفاه فراقه لولده « ملك رومية » فكان يجلس الساعات الطوال كل يوم تقريباً في تلك الجزيرة السحيقة وعلى صخورها النارية منفرداً بنفسه جامداً كالحجر يناجي ابنه الحبيب ويحسد النسر على فراخه — وفرخه ليس لديه — ويتأوّه ويتحرّق ويذوب كالشمعة المستعرة . وطالما رأوه على هذه الحال والحسرات تكاد تخنقه ويوشك ان يتفجر الدم من عينيه . ومرت عليه سنوات الاسر الست في تلك الجزيرة المحرقة بدون ان يعلم شيئاً عن حال ابنه ، فلم يفتأ يذكره صباح مساء . . . وفي احتجاجه الاخير الذي فاه به قبل مماته لم يسمع العالم لهجة اشدّ من لهجته عند كلامه فيه عن ابنه وكانت آخر نظرة منه الى هذا الكون نظرة الوداع الى تمثال صغير لابنه موضوع عند فراشه

نظرات

❊ اطالة الحياة ❊ — ذكر احد نطس الاطباء في بعض المجلات العلمية وصايا صحية زعم انها القواعد التي ينبغي التزامها لمن احب ان يعيش مئة عام وهذا اهمها :

ان تكون مدة النوم ثماني ساعات
ان لا يكون السرير متصلاً بالحائط
تقليل مقدار اللحم في الطعام مع تحرّي النضج التام
ادمان الرياضة كل يوم في الهواء المطلق
العيش ان امكن في البرية
الاقتصار على شرب الماء واجتناب الرطوبة
التزام المراوحة في الاشغال
وضع حدّ لمطامع النفس وتطلباتها
مقاومة الطبع والاستيلاء على ازمّة الاهواء

***

❊ قراءة الجرائد ❊ — رأى بعض الباحثين ان من بين قراء الجرائد كل طاعن في السن يلتفت اولاً في الجريدة الى باب الوفيات متوقعاً ان يرى هناك اخباراً عن اصدقائه اكثر من باب الزيجات او غيره وقد يكون السبب ان الكهول يفتكرون في الموت اكثر من غيرهم اذا لم يكن الموت دائماً في بالهم

اما البنات فاول ما يلتفتن الى باب الحفلات والزيجات ثم الموض . اما الشبان المتظاهرون بالرزانة والتعقل فيقرأون المقالات الافتتاحية والخواطر واصحاب الهموم يقرأون الشذرات . والتجار يهتمون بالاعلانات . والكهنة يقرأون وصايا الموتى واخبار متروكاتهم . والفقراء يفضلون قراءة اخبار الفواجع والمصائب والشعراء بوجه العموم لا يميلون الى قراءة الجرائد ولعل هذا سبب بقائهم في عالم الخيال وابتعادهم عن الحقائق .

❊ الحقيقة المرّة ❊ قال احدهم وقوله هذا لسان الجم الغفير من الناس : عندما كنت خطيبها كنت أتكلم وهي تسمع . — تزوّجنا فصارت هي

تتكلم وانا أسمع · — اما الان فنحن كلانا نتكلم والجيرة تسمع

✺ ليس للعفو نظير ✺ — لما ظفر المأمون بابرهيم بن المهدي شاور فيه احد وزرائه ، وكان حكيماً ، فقال — يا امير المؤمنين ان قتلته فلك نظراء وان عفوت عنه فما لك نظير

✺ الزواج ام العزوبة ✺ — سأل رجل احد الحكماء — هل الافضل ان اتزوج ام ابقى عزَبًا ؟ فقال — لابد لك من الندامة سواءٌ فعلت هذا او ذاك

✺ جواب مفحم ✺ — اراد هنري الثامن ملك انكلترا ان يبعث رجلاً من اخصَّائه برسالة شديدة اللهجة الى فرنسوى الاول ملك فرنسا ، فقال له الرجل — عفواً يا مولاي ان فرنسوى يقطع رأسي ان بلغته رسالة جلالتك

فقال الملك — اذا اقدم الملك على قطع رأسك فاني لاقطعنَّ رؤوس جميع الفرنسويين الموجودين في مملكتي

قال — ولكن ما من رأس منها يركب على جثتي فينوب مناب رأسي

* * *

✺ ثروة الولايات المتحدة ✺ — تُقدَّر ثروة الولايات المتحدة الان بخمسة وسبعين الف مليون جنيه · ومن غريب ما يُروى عن الاميركيين ان في خزينة الولايات المتحدة الان ٢٨٣ مليون جنيه مستحقة لحاملي سندات قرض الحرية الاميركي ولكن لم يتقدم احد من هؤلاء لقبض نصيبه منها · وقد اصدرت الخزينة الاميركية منشوراً قالت فيه : إمَّا ان يكون الاميركيون اقلَّ سكان العالَم خبرةً بالاعمال واشدَّهم اهمالاً او ان يكونوا قد بلغوا من الغنى مبلغاً لم يبق للمال قيمة في نظرهم

* * *

✺ حكومة شرقي الاردن ✺ — توجه فخامة المندوب السامي في ١٧ ايار الحالي الى عمَّان ليرد زيارة سمو الامير عبد الله · وفي اليوم التالي من وصوله القى على جمهور غفير من المشايخ وزعماء القبائل في شرقي الاردن الخطاب التالي ، قال : أسعدني الحظ بان قابلتُ في دار الحكومة بالقدس صاحب السمو الامير عبد الله لما زار فلسطين هو والمستر تشرشل احد اعضاء الوزارة البريطانية · والحكومة البريطانية تسر بفرصة التعاون مع الامير عبد الله في البلقاء (ما وراء نهر الاردن) وتثق بصداقته وحسن نيته كل الثقة وتقدر الصداقة وحسن الثقة اللتين امتحنتا في هذه الحرب الضروس الطويلة حق قدرها · وتدرك الخدمات التي قامت بها الجيوش العربية في ذلك النضال وتقدرها حقها وترغب في ان التحالف الذي نشأ في اثناء الحرب يتوثق عراه في ايام السلم ·· كان الموظفون البريطانيون يساعدون في ادارة البلقاء منذ شهر اغسطس الماضي وسيظلون يعملون كمستشارين للامير وموظفيه من قبلي في انحاء البلاد المختلفة · وسيجد سموه في المستر ابرامسون كبير المندوبين البريطانيين موظفاً ذا مقدرة وخبرة عظيمة وهو وجميع الموظفين المشتركين معه في طول هذه البقعة وعرضها رجال يعطفون عَلَى الشعب ويميلون الى آداب اللغة العربية وسيتمكنون من المساعدة على زيادة ترقية البلاد · وسيُفرَغ قصارى الجهد لتدبير كلما تحتاجون اليه من العروض وفتح اسواق فلسطين لحاصلات بلادكم وتسهيل نقلها اليها · وسيُنظَر بعين العناية في حاجة اهل البلاد التي نحن فيها عَلَى اختلاف طبقاتهم سواء كانوا من سكان المدن او الفلاحين او قبائل

العرب حباً في زيادة هنائهم وبحسب حاجاتهم المتعددة . ولادراك ذلك يجب ان تكون المحافظة على النظام والامن العام في المقام الاول من الاهمية ويؤمل ان يحتفظ بقوة احتياطية تكون اكثر كفاءة واشد حولاً مما كانت الحال قبلاً وتستخدم مع الجندرمة في توطيد سلطة الامير عبد الله والحكومة المحلية . ويسرنا ان نلبي رغبات الامير عبد الله فنقدم عند الضرورة طيارات وسواها من المعونة الفنية لاغراض محلية وستؤول هذه التدابير الى استتباب السكينة في المقاطعات وتمكن ايضاً من اتخاذ التدابير لكبح جماح كل من يعكر صفو الامن في الاراضي المجاورة غرباً وشمالاً . والحكومة البريطانية مصممة على ان لا تصير البلقاء مركزاً للعداء سواء كان لفلسطين او لسورية . ونحن نعلم اننا في اخراجنا هذا التصميم الى حيز الفعل نستطيع الاعتماد على معونة الامير عبد الله . ومن بواعث الارتياح الشديد لحكومة جلالة الملك ان تجد نفسها متحالفة محالفة متينة مع ممثلي الشعب العربي في جميع البلدان العربية . ومن البراهين الاخرى على ضمان هذا التحالف ودوام مودته سياستنا في البلقاء ووجودي بينكم اليوم ممثلاً لجلالة الملك جورج . واني ارجو ان يتخذ من التدابير منذ الآن ما يرفع هذه البلاد الى مستوى من اليسر والرخاء لا يقل عنه في البلدان المجاورة او عما كان عليه في الازمان الغابرة

***

﴿ ايان يشعر ! ﴾ — أطلعنا صديق قدم من اميركا منذ بضعة اشهر على ابيات نظمها الكاتب الشاعر الحر داود افندي مجاعص محرر جريدة الوطن التي تصدر في سانتياغو الشيلي فآثرنا نشر بعضها . قال الناظم الاديب :

ألا ايها الاضياف قهراً وعنوةً
نزلتم اسياداً فبيضوا وتقرّوا
ونحن عبيد الضيف والسيف والعصا
فدوسوا جباهاً ما استطعتم وعفّروا
رفعتم نير الترك عنا فحكّموا
بأعناقنا النير الجديد وسمّروا
ولا تتركونا دون مولىً فاننا
لَشعبٌ ألوفٌ حين يُركَبُ يُشكرُ
وأنقذتمونا من مخالب كاسرٍ
فأنتم اولى بالفريس وأجدرُ
فما الترك الا عصبة همجية
لهم معدة الاوباش والناب أبترُ
وانتم سراة معدةً ومخالباً
واشرف انياباً واقوى وامهرُ
اناشدكم حق الضعيف الذي جرت
دماؤكم من اجله وهي انهر
وحرية الاجناس والعدل والوفا
مبادىء لولاكم غدت ليس تُذكَرُ
بان تثقلوا حمل البهيم الذي رمت
بايديكم الاقدارُ خشية يبطرُ
وان تلهبوه بالسياط اذا هوى
به حمله فالبغل بالسوط يُزجَرُ
ولا تخشوا بأسافذا الشعب هادئٌ
وأطوعُ من ان يُستثارَ وأحقرُ
لقد غلب الجوع المذيب بصبره
وما غيره شعبٌ يجاعُ ويصبرُ
واعجز هذا الدهر طول اناته
فلم يدرِ منه الدهر ايان يشعرُ !

***

❊ مجد العرب ❊ — نشرت رصيفتنا (الوطن) التي تصدر في سانتياغو (الشيلي) شيئاً من خطاب القاه الاستاذ لويجي ربنالدي استاذ الفلسفة في الكلية الايطالية الملكية على خريجي المدارس الايطالية في ٩ كانون الاول سنة ١٩٢٠ في مدنية العرب · قال الخطيب «ان المدنية نبتت من وراء الاهرام وانتقلت بعد ذلك الى اليونان فالرومان ثم اندثرت حتى قيض الله لها ابناء الصحراء فايقظوا الامم الغربية من سباتها العميق» · ثم تكلم عن فتوحات العرب وتقدمهم بخطوات واسعة نحو المدنية وكيف كانت بلاد الاندلس بفضلهم منبع الحياة والمدنية وبينما كان كل سكانها يعرفون القراءة والكتابة كانت كل اوربا في جهل فاضح · وانتقل بعد ذلك الى التكلم عن طريقة الاستعمار التي كان يتبعها العرب مع رعاياهم وذكر ما كان لهم من اليد الطولى في العلوم والادب والفلسفة والشعر والموسيقى وذكر مشاهير رجالهم وافاض في ذكر ابن رشد الفيلسوف صاحب المذهب المنتشر الان في اوربا المعروف باسم (الفكر الحر) وكذلك تكلم عن ابن سينا وان كتبه ظلت تُدرَّس في جامعات اوربا حتى القرن الاخير ثم قال «ان العرب لم يحملوا الى اوربا العلوم النافعة مثل الجبر والهندسة والكيمياء وغيرها فقط بل رقوا الزراعة واوجدوا معامل النسج والاقمشة ومعامل الورق وهندسة المباني»

***

❊ في غير ثوبها ❊ — حكي ان الحقيقة ذهبت الى شاطئ البحر لتغتسل فجاء الكذب وسرق ثوبها · ولما خرجت من البحر لم تجد ثوبها فذهبت الى الناس عارية · فشتموها وقبحوا عملها · ففرّت من بينهم ورجعت الى شاطئ البحر تبكي فوجدت ثوب الكذب فلبستهُ وعادت الى القوم فرحبوا بها واكرموا وفادتها · فدخلت قلوبهم ونالت مبتغاها معهم وهي لا تزال حقيقة — ولو تحت ثوب الكذب

❊ بداهة الجواب ❊ — دار حديث بين جماعة من الاصحاب حتى قال احدهم: مَن منكم يذكر من عجائب الكتاب اشدّها غرابةً ؟ — وكان الى جانبهم رجل لا يعرفونه فقال: صعود ايليا الى السماء بمركبة نارية من غير ان تحترق ثيابه · فالتفت اليه احد الحاضرين واجاب: بل هي تكلُّمُ حمار بلعام من غير ان يُسأَل

***

❊ خسارة الرجال في الحرب ❊ — يُقدِّر رجال الاحصاء عدد مَن قتل من جنود الفريقين في الحرب العظمى — ما عدا روسيا — بسبعة ملايين و ٧٠٠ الف رجل

آثار ادبية

❊ الاخلاق ❊ — مجلة ادبية تاريخية روائية تصويرية فكاهية تصدر في نيو يورك لصاحبها الكاتب الفاضل يعقوب افندي روفائيل · وصلتنا الاجزاء الاولى من سنتها الثانية الجديدة فاذا هي طافحة بالمقالات النافعة والفوائد الرائعة وفي آخر كل جزء منها رواية متسلسلة بعنوان آخر غرام السلطان عبد الحميد · وهي تصدر مرة في الشهر في ٣٢ صفحة كبيرة بطبع جميل وورق صقيل وقيمة اشتراكها في الولايات المتحدة ٥ دولارات وفي سائر جهات العالم ٦ دولارات . فنحث الادباء على اغتنام فوائدها ونرجو لها الثبات ودوام الانتشار

❊ نوادر الحرب العظمى ❊ — كتاب يدل اسمه على موضوعه فهو يشتمل على كل ما رق وراق مما تتوق كل نفس الى مطالعته من نوادر الحرب العظمى وفكاهاتها

واخبارها . ُعني بجمعه وطبعه حضرة الفاضل يوسف افندي توما البستاني صاحب مكتبة العرب المشهورة في مصر بفجالة . مجموعة كبيرة في ٢٥٦ صفحة منسوقة احسن تنسيق . ثمنه ١٢ غرشاً صاغاً والبريد غرشان . وهو يُطلَب من مكتبة العرب في مصر ومن ادارة النفائس في القدس . فنثني على حضرة جامعه الفاضل ثناء طيباً لما يتحف بها قرّاء العربية من امثال هذه الطرف ونحث محبي المطالعة على اغتنام ما يشتمل عليه من الفكاهة والتبصرة . وسنختار بعض الامثلة منه للجزء القادم من النفائس

❊ زهرة الجيل ❊ — مجلة ادبية روائية فكاهية تصدر في حيفا مرتين كل شهر لصاحبها الكاتب الاديب صديقنا جميل افندي حبيب البحري وكل عدد منها يحتوي على روايتين من انفس الروايات وابدعها احداهما صغيرة تتم في كل عدد والاخرى متسلسلة في جميع الاعداد . وقد طالعنا بعض ما وصلنا من اعداد هذه المجلة فاذا هي رائقة المشرب لطيفة الاسلوب حرّية بان يقبل عليها القرّاء من جميع الطبقات . فنشكر لمنشئها الاديب همته واقدامه ونرجو لمجلته اللطيفة كل رواج وانتشار . قيمة اشتراكها ٦٠ غرشاً صاغاً في فلسطين و٧٥ في الخارج . وهي تطلب من صاحبها في حيفا ومن ادارة النفائس في القدس

❊ رسبوتين الراهب المحتال ❊ — لم يبق احد من قراء الصحف الا وسمع باسم رسبوتين ذلك الراهب الماذق المنافق الذي كانت له اليد الطولى في الثورة الروسية وفيما انتهت اليه حالة القيصر المنكود الحظ نقولا الثاني . وفي الكتاب الذي امامنا الآن بالعنوان السابق سيرة حياة هذا الرجل وتفصيل اعماله الجهنمية وبيان لكثير من حوادث البلاط الروسي وغوامضه . ألّفه الكاتب الانكليزي الشهير وليم لوكو بعد ان عرف روسيا معرفة تامة وطاف في بلادها الواسعة الاطراف . ونقله الى العربية حضرة الكاتب الفاضل اسعد افندي خليل داغر مصدّراً اياه بهذين البيتين

اذا رُمتَ الوقوف على امورٍ يشيب لهولها رأس الوليد
فان كتاب رسبوتين حاوٍ لها لكن بمختصرٍ مفيد

وقد طبعه حضرة الفاضل يوسف افندي توما البستاني وجعل ثمنه ٨ غروش فنشكر لحضرته عنايته بابراز امثال هذه الاسفار واتحاف المكاتب العربية بامثال هذه الآثار

❊ الفوائد ❊ — عادت مجلة الفوائد لصاحبها حضرة الصحافي الشهير خليل افندي البدوي صاحب جريدة الاحوال الغرّاء الى الظهور من جديد وجاءنا الجزء الاول من سنتها الحادية والثلاثين حافلاً بكل ما لذّ وطاب من المواضيع العلمية والادبية والاقتصادية وغيرها مما يغذي العقول ويهذب النفوس . فنرحب بهذه الرصيفة الحسناء ونرجو لها مزيد الرواج والنفع

❊ الشكر ❊ — عنوان خلاصة اعمال جمعية ثمرة الاحسان للسيدات السوريات الارثوذكسيات في بونس ايرس عاصمة الارجنتين . وغاية هذه الجمعية الاهتمام بشؤون ذوي الحاجة من ابناء الجالية السورية عموماً في تلك الاقطار . فنشكر لحضرات رئيسة واعضاء هذه الجمعية الكريمة هممهنّ العالية في خدمة هذه المبادئ الشريفة ونرجو لعملهنّ المبرور كل نجاح ونماء

اهداء النفائس

— تابع اهداء السنة الثامنة —

اهداها حضرات الافاضل :

(٥١) جورج افندي نقولا زلعوم وكيل المجلة السابق في حلب الى ابن عمه المحترم الاب الخوري روفائيل زلعوم (زحله — عين الدوق)

(٥٢) والى النادي الكاثوليكي للشبيبة (حلب)

(٥٣) قسطندي افندي لباط معاون حاكم الخليل الى شقيقته الآنسة هيلانة لباط (القدس)

(٥٤) الفتى النجيب يوسف افندي عيسى المنير (لد) الى معلمته الآنسة جليلة فرح معلمة المدرسة الارثوذكسية في اللد

فنشكر لهؤلاء الافاضل غيرتهم وحميتهم